

إعداد وتحقيق
بثينة الناصري

ترجمة
عبد الكريم الناصري

تعليق
عبد الرزاق الحسني

الخاتون

صانعة الملوك

رسائل جريترود بيل

ترجمة

عبد الكريم الناصري

الخاتون

صانعة الملوك

رسائل جيرترود بيل

ترجمة

عبد الكريم الناصري

تعليق

عبد الرزاق الحسني

إعداد وتحقيق

بثينة الناصري

الطبعة الثانية

إصدارات إي-كتب

لندن، كانون الأول – ديسمبر 2016

‘alKhatoon’ The Kings maker
Letters of Gertrude Bell
By: Abdul Kerim Al-Nasiri

Published by: **E-Kutub.com**
(Co-Publishing & distribution: **Amazon**, **Google Books**, **Play Store**)
ISBN: **9781780582290**
* * * * *

الطبعة الثانية، لندن، كانون الأول-ديسمبر 2016
صدرت الطبعة الأولى بعنوان (خلق الملوك) عن "مكتبة النهضة"، بغداد، 1973
المؤلف: **عبد الكريم الناصري**
الناشر: **E-kutub Ltd**، شركة بريطانية مسجلة في انجلترا برقم: 7513024
ناشرون وموزعون مساعدون: **أمازون، غوغل بوكس، بلاي ستور.**

يمكنك الكتابة الى المؤلف على العنوان التالي:
balnasiri@gmail.com
تصميم الغلاف: إهداء من مصمم الجرافيك الفنان المصري - **مازن عزمي**

تمهيد

بقلم: بثينة الناصري

ولد أبي (عبد الكريم الناصري) في البصرة عام 1918. قضى ثلاث سنوات بعد الدراسة الثانوية في الجامعة الأمريكية في بيروت، ومنعته ظروف مرضية من إتمام دراسته، ولكن ذلك لم يعقه عن المتابعة والبحث واستقاء العلم حتى آخر لحظاته.

شغل عدة مناصب منها: مدير الترجمة والأبحاث في المصرف الصناعي، ومترجم لمجلة العراق الجديد الصادرة بالإنجليزية واخيرا مترجم أول...في مديرية المالية العامة. كما عمل مترجما في أكثر من صحيفة عراقية منذ عام 1945 في الأهالي والحرية والثورة والجمهورية وغيرها.

شُغف أبي بمجالين أوقف عليهما كل جهوده: الفلسفة واللغة. وكان في كل منهما حر الرأي مستقله، جريئا في عرض أفكاره، دقيق الاستقصاء، ثاقب الذكاء، وله في اللغة نظريات مهمة لم يمهله الموت للسير فيها أشواطا بعيدة، ويظل حلمي ان أجمع كل ماكتبه المنشور والمخطوط لتكون أبحاثه في متناول الأجيال القادمة.

أما في مجال الترجمة فإنه كان دقيقا ومخلصا يساعده في ذلك تمكنه من اللغتين الانجليزية والعربية.

كان أول من ترجم بعض رسائل مس بيل الخاصة بالعراق وقد تمكنت من جمعها ونشرها في 1973 من مكتبة النهضة ببغداد، بعنوان (خَلق الملوك) إشارة الى قول مس بيل في رسالة إلى أبيها "ثق أني لن أشتغل بخلق الملوك بعد الآن".

نشر في مجلة (الرسالة) المصرية مقالات في الفلسفة في اواخر الثلاثينات 1939 وكان عمره 21 سنة. كما نشر في مجلة عراقية (عالم الغد) وأظن في الاربعينات من القرن الماضي، جانبا من مقالاته الفلسفية وهي تتناول سير وأفكار أشهر الفلاسفة الاوربيين . وفي الستينات كان ينشر سلسلة مقالات في (الاهالي) ثم (الثورة) بعنوان (طرائف لغوية) عن اصول وجذور الكلمات في لغات مقارنة، ويقترح ويصحح تسميات لبعض التسميات المتداولة. كانت نظريته أن اللغات الإنسانية نبعت من منشأ واحد. وأن الكلمات العربية أصلها ثنائي ولهذا ينبغي ان نردها الى حرفين وليس ثلاثة حروف حسب المتعارف عليه في المعاجم.

عن هذا الكتاب:

اهتم عبد الكريم الناصري بترجمة هذه الرسائل في عام 1961 وبدأ بنشر بعضها في جريدة "الأهالي" العراقية ويبدو إن فكرة ترجمة رسائلها كاملة لم تخطر له –لأول وهلة – على بال، لأنه بدأ برسائل 1921 ثم – وقد تبين أهميتها – أخذ بترجمة رسائلها بالتسلسل مبتدئا بعام 1919. وقد توخيت في إعداد هذا الكتاب أن أضع الرسائل في نسقها الطبيعي مع الإشارة الى أعداد "الأهالي" التي نشرت فيها.

بالرغم من إنه لم يترجم كافة الرسائل المتعلقة بالعراق إلا إن ماترجمه يتناول جزءا مهما من تاريخ العراق وهو تأليف الحكومة العراقية وتتويج فيصل ملكا، ومارافق كل ذلك من الأحداث المهمة.

لقد كتب الكثر من الكتب حول هذه الفترة ولكن لعل أ÷مية هذا الكتاب في كونه رسائل خاصة ولشخصية لعبت دورا كبيرا في تلك الاحداث. والرسائل الشخصية خطرها في الكشف عن امور قد لاتسمح بها التقارير الرسمية مثلا. فهي والحق يقال قطعة من التاريخ نابضة بالحياة.

لم يقتصر اختيار أبي على النواحي التاريخية والسياسية في رسائلها. وإنما أولى النواحي الشخصية الإهتمام الأكبر، مما يتيح لنا أن نطلع على دخائل ومخاوف وآمال وأخطاء وتطلعات هذه المرأة التي كانت موظفية في الاستخبارات البريطانية ثم السكرتيرة الشرقية للمعتمد السامي في العراق.

ولايسعني هنا إلا أن أقدم بالغ الإمتنان لروح الإستاذ المؤرخ الكبير عبد الرزاق الحسني الذي تفضل بالتعليق على الرسائل (في طبعة 1972) وكان لتوجيهاته القيمة أكبر الأثر في إعداد هذا الكتاب.

أخيرا أرجو أن أكون قد وفقت بوفاء بعض ديني تجاه وطني أولا وذكرى أبي ثانيا.

مقدمة المترجم*

كانت جريدة الأهالي الغراء نشرت ملخصا مقتضبا جدا للرسائل التي كانت السكرتيرة الشرقية في دار المعتمد البريطاني في العراق المس بيل تبعث بها من بغداد الى أبيها السر هيو بيل وإلى أمها – لا إلى أبيها وأخيها كما ذكر كاتب الملخص.

ونظرا الى أهمية هذه الرسائل، رأيت أن أتوسع في تلخيصها. وسأترجم بعضها ترجمة كاملة وأقتطف من بعضها الآخر ما أراه مفيدا للقراء، ترجمة أو تلخيصا. وللمس بيل رسائل كانت تبعث بها من سوريا قبل مجيئها الى العراق وقبل مابلعته بعد من شأو في التأثير على أوضاع العراق. وقد كنت قرأت كتاب رسائلها السورية منذ نحو ربع قرن وكنت يومئذ تلميذا في المتوسطة ولا أزال أذكر البيت التالي الذي صدّرت به – أصلا وترجمة – كتابها وهو فيما أذكر لتأبط شرا:

أرى الوحشة الأنس الأنيس وأهتدي---- بحيث اهتدم أم النجوم الشوابك

ثم قرأت لها – منذ بضع سنين – كتابا صغيرا عن ذكرياتها ببغداد. ومنذ بضعة أشهر قرأت لها في كتاب – تنازع الولاء – للسر أرنولد ولسن وكيل المتعتمد السامي البريطاني في العراق في أوائل عهد الإحتلال تقريرا سريا مسهبا يدور أغلبه على السيد عبد الرحمن النقيب.

إن القارىء لايستطيع أن يكوّن فكرة صحيحة عن هذه الرسائل والتقارير حتى يقرأ شيئا منها. إنه عندئذ سيفغر فاه عجبا ودهشة لجهله بحقائق بلاده وحقائق الشخصيات المعروفة فيها. فالسيد عبد الرحمن النقيب يقول للمس بيل أثناء زيارة قامت بها له في داره

مقابل جامع الكيلاني على ما ورد في تقرير سري لها قدمته الى حكومتها ونشره السر أرنولد في كتابه المذكور آنفا.

"إن لكم الحق في أن تحكموا العراق لأنكم قد احتللتم العراق بالقوة المسلحة" أو كلاما هذا فحواه.

على أنه من جهة أخرى يرفض اقتراحها عليه أن يكون ملكا على العراق – وقد كان من جملة المرشحين البارزين لهذا المنصب – معتذرا بأنه رجل "درويش" لايصلح لهذا الأمر.

ونوري السعيد في صورة جديدة تتحدث الآنسة بيل عن انطباعها عنه حين ألقت أول نظرة عليه عند مجيئه إلى العراق من سوريا بعد الحرب "إني ما أن رأيته حتى أدركت أننا أمام قوة عظيمة مرنة، علينا إما استعمالها وإما الاشتباك معها في نزال صعب" ونراه يشترط شروطا للتعاون مع الإنكليز ومن جملتها تأسيس جمعية تأسيسية.

وإلى جانب هذه الصورة تتبدى صورة أخرى غير متوقعة: ناجي السويدي يقترح على الإنكليز أن يفرضوا الانتداب على العراق بدلا من عقد معاهدة معه لأن ذلك يتيح لهم سلطانا أكبر في البلاد (1)

كانت المس بيل موظفة في الاستخبارات البريطانية وقبل أن تجيء الى العراق كموظفة مرت "بدورة" في القاهرة – مركز الاستخبارات البريطانية في الشرق الأوسط – تعلمت منها بعض الأسرار الخاصة بالعراق بالتبلاد العربية جملة. وكان هذا المركز يضم أمثال لورنس وفلبي وستورس.

لقد جاءت الى العراق سنة 1971 وحين عين السر برسي كوكس معتمدا ساميا في العراق في أواخر سنة 1920، عينها "سكرتيرة شرقية" له وقد لعبت دورا خطيرا في توطيد الحكم البريطاني في العراق.

وإلى جانب عملها هذا قامت بعملين إثنين بارزين وهما إنشاء المكتبة العامة (2) وإنشاء دار الآثار والمتحف العراقي، وقد كانت

مسؤولة عن الدارين وفي المكتبة العامة كتب نادرة تتصل بتاريخ العراق.. كتب هي من اختيار المس بيل .ولقد توفيت المس بيل سنة 1926 ودفنت في بغداد. وثمة مكتبة دار الآثار العامة: إنك إذا ذهبت الى هذه المكتبة وطلبت معجما أكديا – أي بابليا – آشوريا – لم تجد غير معجم اللغوي الألماني ميس أرنولد، وهذا معجم ظهر في أواخر القرن الماضي، ومن المحتمل جدا أن تكون المس بيل هي السبب في وجوده. كما إن الكتب الباحثة في اللغة الأكدية – وبالجملة السامية – كلها على التقريب قديمة.

في كتاب المس بيل بعض الغلطات المطبعية، وبعض الأخطاء التي لانتوقع صدورها منها وهي تلميذة المستشرق والوكيل البريطاني ديفد هو غادث، ومن هذه الأخطاء إشارتها في رسالة لها إلى عيد الأضحى على أنه عيد الفطر – والظاهر أن الخطأ ليس منها بل من أمها التي نشرت الكتاب.

عبد الكريم الناصري

بغداد 1961

هوامش:

(*)نشرت كمقدمة لترجمة الرسائل في جريدة الأهالي عدد 619 في 1961/10/4

(1)لا يمكن ان يصدر عن ناجي السويدي مثل هذا القول لأني أعرف السويدي معرفة تامة وكنت دائم الصلة به – الحسني 1972/1/18

(2)المكتبة التي أسستها المس بيل هي "مكتبة السلام" وقد أصدرت مجلة باسم "ا لخزانة" صدر عددها الأول في كانون الثاني 1923 ودامت سنة واحدة صدرت خلالها ثلاثة أعداد فقط – الحسني 1972/1/18

إنها أعظم مصدر للراحة لي – ولا أدري ماذا كنت صانعة من دونها – ثم طباخي الجديد. آه ياأبتاه لو رأيته يضفي طابعا ورونقا خاصا على حديقتي حين يتبختر فيها بعباءته. بيد أنه – على إجادته الطبخ وإحسانه صنع الكعك الممتاز – لا يقرأ ولا يكتب ونظرا الى ضعف ذاكرته ترى حساب المصرف اليومي معه محنة من المحن. إنه في العادة كما يلي (3)

بيل – مهدي.. الحساب.. لازم أروح للدائرة.

مهدي – خادمج خاتون.. اشتريت اليوم شيسموه

بيل – شيسموه؟

مهدي – تمّن.. بقرانين

بيل – اربع عانات.. وبعد؟

مهدي – والتالي اشتريت شسمه

بيل – شنو؟ ياللا!

مهدي – خبز.. ست عانات

بيل – زين وبعد؟

مهدي – وبعدين اشتريت شيسموه

بيل – يا إله السموات والأرض.. شنو؟

مهدي – شَكَر.. ربيتين

بيل – زين ربيتين

مهدي – وها.. خاتون.. تره آني نسيت البيض مال البارحة. ربية وحدة.

بيل – خوش.. استمر

مهدي – والتالي اشتريت لحم ربية وحدة.

بيل – وبعدين؟

مهدي – والله واشتريت بعد.. اكول خاتون.. تريدين اطبخ مرك هالليلة؟

بيل – مثل متريد.. كمل الحساب

مهدي – على راسي.. والتالي شسمه

وهكذا حتى تستولي عليّ – مابين نفاد الصبر والضحك – نوبة هستيرية.

(...) بهذه المناسبة (4) هل لك في أن ترسل تقريري عن سوريا الى جورج تريفليان، بصورة خاصة؟ أعتقد انه سيشوقه نظرا الى حديث جرى بيني وبينه في الصيف الماضي.

لقد نسيت تماما أن احدثك عن أهم حدث في هذا الاسبوع وهو المولد النبوي. وفي يوم المولد تقيم دائرة الاوقاف احتفالا رسميا في جامع الأعظمية الواقع على مبعدة ثلاثة اميال من بغداد والموجود فيه ضريح الامام ابو حنيفة، ويكثر تردد الناس عليه.

ويتألف الاحتفال من مأدبة دسمة وإقامة الصلوات وقد دعينا الى المأدبة لأول مرة ولقد ذهبت كما ذهب فرانك بالفور – وكافة موظفيه، وكان المطر قد هطل مدرارا في الليلة السابقة. إنها المطرة الاولى التي طال انتظارنا لها والتي أتت اخيرا – وكان الذهاب الى الأعظمية بالسيارة لذلك أمرا غير يسير، وكان موعد بدء الاحتفال في الساعة التاسعة صباحا.

على أننا وصلنا جميعا سالمين ووجدنا رجال الدين مجتمعين في دار إمام الجامع وقد جلسنا معهم ساعة أو نحوها نتبادل أطراف حديث جد ممتع ثم قُدم الينا غداء عربي ممتاز بكميات لاتصدق، وكان بعضنا ارتأى أن الساعة العاشرة والدقيقة العشرين ساعة غير مناسبة لتناول طعام الغداء ولكن التبكير بالغداء ليس عندي بذي بال مطلقا.

ثم عدنا جميعا الى مكاتبنا. إني لا أستطيع أن أصور لك كم كانت المناسبة ودية ولطيفة. لقد كانت موضوع ارتياحي ورضاي"

****

هوامش:

(1) هو المستر عندئذ واللورد بعدئذ جورج لويد. من موظفي الاستخبارات البريطانية في ذلك الوقت ثم المندوب السامي البريطاني في مصر بعد اللورد اللنبي – المترجم

(2) الذي نتذكره من كتيب قرأناه للمس بيل أن ماري هذه هي خادمة ارمينية كانت لديها – المترجم

(3) ليس من المتوقع أن يكون الحديث بغير اللغة الدارجة التي كانت المس بيل تحسنها- المترجم.

(4) المناسبة ليست هي الحديث السابق، بل هناك كلام محذوف في الأصل، وجورج تريفليان هو ابن اخت لها- المترجم.

* نشرت في الأهالي – عدد 620- في 5-1-1961

ثورة العشرين 1920(*)

كتبت المس بيل الى أمها في 14 شباط 1920 تقول:

"كنت قضيت ثلاث أيام بهيجة في الحلة حيث وصلت وأنا بين الحياة والموت ثم استعدت صحتي بصورة مطردة وقد أقمت مع الضابط السياسي الميجر تايلر وجميع أعوانه وهم نحو عشرة من الشباب، وما أجمل الوقت الذي قضيناه معا.

كانت مهمتنا تفتيش البدايات الأولى لأعمال مسح الأراضي لأعمال التسوية الزراعية التي تستقر في الأساس من جميع مشاكلنا العشائرية. ان تسوية الأراضي هذه ستكون مهمة عملاقة ولكننا إذا أنجزناها على الوجه المطوب كان ذلك معناه ضمان السلام الدائم في الريف.

لقد اجتمعنا بالمساحين ونظرنا في الخرائط وعلامات الحدود، وهي أكوام من التراب لا من الحجارة إذ لا حجارة في هذه البلاد. ثم قفلنا راجعين على صهوات جيادنا. وفي منتصف الطريق عرجنا على مضيف كبير شيوخ القصبة وتغدينا عنده. وكان الشيخ قد جمع ممثلي جميع العشائر المجاورة التي لها صلة بقضايا التسوية ولكنه نظرا الى فقره أفهمهم أنه سيقوم بواجب الضيافة لنا ولبني حسن – اقرب جيرانه – فقط ولذلك فحين وضعت امامنا صينية طعامنا الكبيرة وضعت صينية اخرى في نهاية المضيف ودعي اليها بنو حسن- اما سائر الحاضرين فقد قنعوا بالسكائر والقهوة.

وبعد الغداء جرى حديث ذو شجون. تلك هي الطريقة التي يجري بها تصريف الأمور في الارياف. وما من ندوة للشورى هي خير من مضيف الشيخ.

وكان الشيخ مضيفنا قد حاربنا في صفوف الأتراك ف الكوت بعد أن جند عشيرته بأمر منهم.

سألته: شلون جان الحال يوم حاربتم مع الترك؟
فقال وقد ارتسمت على وجهه إمارات الجد:
- خاتون جنة جواعى. الطعام كان متوفر عندهم، بس ماجان ينطوناشي.
- وجنتم تحاربون وانتو جواعى؟
- لاوالله.. رجعنا لأرضنا.
في اليوم التالي ذهبت أنا والميجر تايلر بالسيارة الى الديوانية، ولم أكن رايتها منذ سنتين فلما رأيتها كدت لا أعرفها. نظيفة، أنيقة، ذات شوارع أوسع من ذي قبل ومستشفى حسن. لقد كانت معجزة.
وكذلك كانت احلة التي قضيت فيها صباح اليوم التالي متفتش، بعد حديث دام نحو ساعتين مع الكبيرين المقدمين في المدينة.. المدرسة والمستشفى والسجن والأسواق. كالوردة – كما نقول في العربية.

29 شباط 1920

كتبت الى أمها رسالة، بدأتها بالتعبير عن فرحها لإبحار أبيها لاسر هيو بيل- الذي كانت شديدة الإعجاب به والإعتزاز له – قاصدا بغداد.
ثم تقول بعد إ شارة الى جمال الطقس في ذلك اليوم – وكان يوم أحد – بعد أيام سبقته كان فيها برد قارص ومطر هاطل – انها أخذت عائلة غوشن الى آثار بابل.
ثم تذكر انها مشغولة بإنشاء مستشفى خاص لنساء الطبقات المتقدمة في المجتمع وأنهن سيقمن بكافة نفقات تأسيس هذا المستشفى – التي بلغت خمسا وأربعين ألف ربية، وكن قررن ذلك بعد

مشاهدتهن قاووشا – قاعة – للنساء الفقيرات أنشئ في المستشفى المدني – وختاما تقول المس بيل:

"أني أقوم الآن بإرسال رسالة شخصية الى عشرة من أغنى أغنياء هذه المدينة أسأل كلا منهم فيها أن يتبرع بثلاثة آلاف ربية أما بقية المال اللازم فأعتقد أنا لن نجد صعوبة في جمعه في صورة تبرعات صغيرة."

وتقول المس بيل في رسالتها أن المستشفى ستتألف من أربع غرف فيها ثمانية أسرة وغرفة للممرضات وحمام.

2 آب 1920(**)

في أثناء ثورة العشرين، يوم كان بعض الانكليز يرون ضرورة جلاء القوات الإنكليزية عن العراق تخلصا من تكاليف الإحتلال الفادحة (1)

كتبت المس بيل الى أبيها تقول:

"رأيي في المسألة هو بالإ يجاز هذا: مهما تكن سياستنا المقبلة فإننا لا نستطيع ان نغادر البلاد في حالة الفوضى التي خلقناها، إن أحدا سوانا لايستطيع ان يسيطر على هذه الحالة ان لم نستطع نحن. إننا إذا قررنا الإنسحاب في الحال وجب أن نرسل فرقتين على الأقل من الهند لتساعدا قواتنا وموظفينا على الخروج من هنا (2)

بيد أن من الممكن استخدام هاتين الفرقتين او اقل منهما في إعادة البلاد الى النظام وحين يحدث ذلك يمكن أن نبدأ في الكلام والتفاوض"..

وتشير الأنسة بيل، بعد ذلك الى حضورها عرض مسرحية وطنية قام بتمثيلها جماعة من الشبان الوطنيين. وتذكر كيف كان الحاضرون يصفقون كلما وردت كلمة (الاستقلال) أثناء التمثيل.

وكيف انها التقت في الحفلة بأشد أعداء الإنكليز فصافحتهم بروح ودية، وعلى حين همس في أذنها أحد "الجالسين على التل" قائلا:" متى بحق السماء تخلصونا من إرهاب العشائر؟"

ثم تقول:

"الموقف غامض لايقين فيه. حادثة أخرى كتلك التي حدثت أخيرا قد تجيء بالعشائر الى مادون بغداد مباشرة. إننا نعيش من اليد الى الفم، إني أدرك ذلك. إن الوضع خطير وقد يزداد خطورة وتفاقما عند حدوث أي ميل قليل في الميزان."

في 8 آب 1920

كتبت الى أبيها تقول:

..."الموقف السياسي يتحسن والوضع العسكري يزداد استقرارا بوصول قوات جديدة من الهند (3). عشائر الفرات لا تزال في كامل ثورتها. ولكنها قد القت أخيرا ضربة أو ضربتين شديدتين ويقال انها قد تعبت قليلا من "الجهاد."

في 16 آب 1920

كتبت الى أبيها تقول إنها تكتب له عند الفجر انها ستذهب في السابعة والنصف الى إحدى الكنائس المحلية حيث ستجري حفلة لتوزيع الجوائز. واليوم الذي تكتب فيه هو يوم الإثنين. وتقول المس بيل أن يوم الأحد هو اليوم الذي تخصصه عادة لكتابة رسائلها اليه، ولكنها كانت في اليوم السابق مشغولة جدا بكتابة خلاصة عن مجرى

الثورة – التي كانت مشتعلة عندئذ- كان قد طلبها منها السر ارنولد ولسن وكيل المعتمد السامي في العراق (4)

وتقول بيل أن من الصعب جدا تدوين التاريخ من مثل هذه المسافة القريبة.

وفي ذلك الوقت تألفت – باقتراح من أحد رجال الانتداب – لجنة من نواب العراق السابقين في مجلس المبعوثين العثماني – لدراسة موضوع تشكيل الجمعية التأسيسية والموضوعات المتصلة بها وتقول المس بيل في رسالتها أن هذه اللجنة قد اختارت من بين أعضائها اربعة من – المتطرفين – ولكنهم رفضوا الانضمام اليها. ثم أن الشرطة قد أبلغت السلطات في ذلك الوقت نفسه بأن اجتماعا خطيرا سيقع في "الجامع الكبير" – ولعلها تعني جامع الحيدرخانة – في يوم الخميس السابق لتاريخ الرسالة، وأن مسيرة في شوارع بغداد ستتلوه. وهنا تقول:

"ومما لا ريب فيه أن هذا كان خليقا أن يؤدي الى اضطرابات وكان هذا هو الغرض المنشود. وذلك أن المتطرفين كانوا رأوا الأرض تنزاح من تحت أرجلهم، عن طريق تأليف حزب دستوري معتدل من النواب السابقين، فلم تبق ورقة يلعبون بها غير اللجوء الى الغوغاء. ولهذا أمِرت الشرطة (5) بالقبض عى الزعماء الأربعة (6). والذي أعتقده أن الشرطة لم تحسن القيام بمهمتها إذ هي لم تقبض إلا على واحد منهم، أما الآخرون فقد فروا الى الكاظمية وهم الآن فيما علمت في النجف. قد أصدِرَتْ بعد ذلك الأوامر الموجبة لعدم عقد الاجتماعات في الجوامع كما أصدر أمر بمنع التجول بعد الساعة العاشرة مساء. وقد كان الأثر المشترك لهذه الأوامر ممتازا، بمقدار مايتصل الأمر ببغداد. فقد عادت المدينة الى حياتها العادية الطبيعية. ولا أعتقد أن هناك من لم يتنفس الصعداء. وقد تساءل كثير من الناس لماذا لم نقم بمثل هذا الإجراء من قبل، ولكني أعتقد أن السر أرنولد ولسن (7) قد تصرف بحكمة عظيمة

في هذه المسألة. فقد انتظر حتى أصبح واضحا انه لو سمح للهيجان بالاستمرار، إذن لأسلمت المدينة الى القائمين بأعمال الشغب".

ثم تشير المس بيل الى مقتل الكولونيل لجمن الشهيرفتقول:

"أسوأ خبر من أخبارنا هو أن الكولونيل لجمن قد نصب له كمين، وقتل فيه، وهو في طريقه من بغداد الى الرمادي. لقد كان مسيطرا على الفرات بمفرده بواسطة العشائر، بعد أن سحبت من هناك جميع القوات. ونحن لا نعلم ماذا سيحدث في تلك المناطق مستقبلا" (8)

23 آب 1920

كتبت المس بيل الى أبيها تشيد بولاء (فهد بك) كبير مشايخ عنزة للإنكليز، وتقول انه كتب إليها وإلى السر أرنولد ولسن، وكيل المعتمد البريطاني في العراق، مؤكدا ولاءه وإخلاصه. وتقول المس بيل أنه قد قدم لهم كل مافي وسعه من المساعدة. ثم تذكر أن السلطات تقوم بإرجاع زوجات أسرى الحرب إلى ألويتهن، وقد كن جئن جميعا إلى بغداد ملتمسات في سبيل أزواجهن.

وفي 5 أيلول 1920 كتبت تقول أن الحر قد أرهقها أن المرء ينفد صبره من الحر في شهر أيلول، ثم تقول:

" المشكلة هي المستقبل. فالعشائر لا تريد أن تكون جزءا من دولة موحدة (9)، والمدن لاتستطيع البقاء من دون مثل هذه الدولة فكيف يتسنى لنا استبقاء وحماية عناصر الاستقرار، وأن ننفذ في الوقت نفسه ماتطلبه منا الحكومة من التوفير والاقتصاد؟ إذ ليس من الممكن تأسيس حكومة مركزية إذا لم يكن هناك من يدفع الضرائب، ومعظم السكان لن يدفعوا الضرائب إلا إذا أرغموا على دفعها ثم أنهم لن يحافظوا على قدر من النظام يسمح بالتجارة.. إننا الآن وسط – جهاد – كامل".

في 19 أيلول 1920 (***)

كتبت إلى أبيها الذي كانت عظيمة الإجلال والحب له، تقول:
"إن السر برسي يعلم أية ثقة تامة تقوم بيننا، وإني حقيقة بأن أطلعك إطلاعا كاملا على ما أراه أو أفعله. وكوني قادرة على ذلك هو عندي أساس وجودي: وإنه لسبب منك قد أصبحت لي، لا أبا فحسب، بل أقرب أصدقائي إلي. إنك الشخص الوحيد الذي رويت له رواية كاملة تقلبات هذه الأشهر البالغة المشقة. وقد رويتها بلا تحيز بمقدار مايسع المرء رواية ظروف قد شارك فيها.. إنك ستصدقني إذن لذلك إن قلت لك أني لم أدرك إلا مؤخرا أي مركز بارز قد احتللت في أذهان الجمهور باعتباري العضو الميال الى العرب (10) وقد كان جوابي الوحيد ولا يزال: إن هذا القول غير صحيح، فإن حكومة صاحب الجلالة البريطانية هي التي تتمسك بحقوق العرب وما نحن سوى خدم عند حكومة صاحب الجلالة".

27 أيلول 1920

كتبت الى أبيها تقول:
" أبرز شيء في هذا الاسبوع هو الطقس. ففي الحادي والعشرين أمطرت السماء مطرا شديدا أزال كل التراب العالق في الجو. ولم يحدث مثل هذا المطر فيما يقال منذ 1907، ولا حدث في مثل هذا الوقت المبكر. ثم تلاه يومان خانقا الحرارة، اشتدت فيهما ريح الجنوب وكثر السحاب ثم هبت عاصفة ترابية فظيعة استمرت عدة ساعات وتلتها عواصف رعدية عنيفة.

أ. ت. (11) ذاهب الى الهند ومصر والقسطنطينية في طريق عودته الى الوطن. تلك هي خطته. إنه يريد أن يحصل نظرة شاملة عن المسألة الشرقية وقد اخبرته بأنك ستسر برؤيته في لندن.

الذي أرجو أن يفعله السر برسي هو أن يعطي أهل هذي البلاد مسؤولية واسعة جدا. تلك هي الطريقة الوحيدة التي تعلمهم مدى صعوبة مهمة الحكم. ويخيل إلي اننا لابد لنا من التخويض خلال فترة طويلة من عدم اليقين ومن الأخطاء – فترة قد تسفر – إن أظهرنا نحن مايكفي من التعقل وأظهروا هم مايكفي من الصبر- عن تقسيم أكثر عدلا لميداني فاعلياتنا. إننا حتى الآن قد قمنا بكل شيء، وأنا أحب أن أقف جانبا وأدعهم يقومون بكل شيء، فترة ما، ثم ننظر ما إذا كان من الممكن وضع ترتيب جديد".

هوامش:

* نشرت ترجمة الرسالة في الأهالي عدد 628 في 16-1-1961

** نشرت ترجمتها في (الأهالي) عدد 629 في 17-1-1961

*** نشرت الترجمة في الأهالي عدد 631 في 19-1-1961

(1) في 7 تشرين الثاني 1922 قال بونارلو "ليتنا لم نذهب هناك قط" ويقصد العراق، وهو بذلك قد عبر- فيما يقال – عن شعور معظم الانكليز. ووصف السر برسفال فلبس – الذي كان المراسل الخاص للديلي ميل في العراق – البلاد بأنها عبء ثقيل معلق برقبة دافع الضرائب الانكليزي. وقد اقترح – بعد دراسة كاملة – ان تنسحب القوات البريطانية من كل انحاء العراق ماعدا البصرة فهي منطقة حيوية وحساسة كما انها لا تكلف كثيرا – بثينة الناصري

(2) الفعل الذي تستعمله صاحبة الرسالة – to extricate- يفيد التخلص من مأزق أو ورطة. المترجم

(3) هذا تفاؤل في غير محله بدليل أن الكولونيل لجمن قتل في ان النقطة يوم 12 آب أي بعد اربعة ايام من تحرير هذا الخطاب، ثم انضمت قبائل اللواء للثورة بعد مقتله – الحسني

(4) عنوان وظيفته الرسمي يومئذ – وكيل المفوض المدني – المترجم

(5) الفعل (أمِرت) بضم الهمزة وكسر الميم – المترجم

(6) في 28 تشرين الأول 1913 تألفت جمعية سرية في الاستانة سميت "جمعية العهد" غايتها توحيد صفوف العرب وجمع كلمتهم وقد توقف نشاطها إثر اندلاع نار الحرب العالمية الأولى فلما انتهت الحرب انقسمت هذه الجمعية الى فرعين أولهما سوري والآخر عراقي – وإلى جانب جمعية العهد العراقي – تألفت في بغداد في نهاية شباط 1919 جمعية سرية باسم "حرس الاستقلال" ارتأت أن تؤسس مدرسة أهلية لستر نشاطها السياسي فتأسست المدرسة الاهلية المعروفة اليوم بمدرسة التفيض ذلك في منتصف ايلول 1919.

وهكذا أخذ الوطنيون يتعاونون على خدمة القضية الوطنية ومن ذلك إقامة مواليد اسبوعية في المساجد السنية والشيعية تتلى فيها المنقبة النبوية ويعرج منها على شهادة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام مما أثر تأثيرا عظيما في النفوس.

وفي ليلة 6 رمضان، أقيمت حفلة المولود في جامع الحيدرخانة وتليت فيها قصيدة حماسية ألقاها السيد عيسى عبد القادر أحد موظفي الأوقاف فقبضت عليه السلطة وأبعدته الى البصرة، فسبب هذا التحدي لشعور الناس هياجا تطور الى مضايقات كثيرة اضطرت السلطة أن تأمر بالقبض على كل من السادة: يوسف السويدي وجعفر أبو التمن والشيخ أحمد الداود وعلي البزركان، فلم يقع في يدها غير الثالث وهو الشيخ أحمد فأبعد في 12 آب 1920 وفر الباقون الى المنطقة الثائرة – الحسني.

(7) تدعوه في رسائلها "أ-ت) إنه السر أرنولد ت. ولسن – المترجم

(8) (أوجس الحكام السياسيون البريطانيون في المدن والقصبات العراقية خيفة من رؤساء القبائل إثر اندلاع نار الثورة في الرميثة يوم 30 حزيران 1920 فأخذوا يتصلون بهؤلاء الرؤساء لحملهم على عدم التورط في القتال الناشب بين قواتهم وبين أفراد القبائل.

وفي الثاني عشر من آب 1920 دعي الكولونيل لجمن الحاكم السياسي للواء الدليم شيخ ضاري الشيخ محمود رئيس قبيلة زوبع الى الاجتماع به في خان النقطة بين الفلوجة وبغداد وبينما هما يتجاذبان الحديث سمع لجمن أن احدى السيارات قد سلبت في الطريق المذكور فأسمع ضاري كلمات أبت شهامته العربية ان تتحملها فأوعز الى ولده سلمان والى ابني عمه صكب ومصعب فوجه كل منهم نار بندقيته على الكولونيل وأردوه قتيلا وفروا الى المناطق الثائرة بعد ان رفض الشيخ علي السلمان رئيس الدليم اقامتهم بالقرب منه وبعد أن حاول الشيخ فهد الهذال رئيس عنزة تسليمهم الى السلطات

البريطانية، فإدعاء المس بيل بأن كمينا نصب للكولونيل لجمن ولقي حتفه فيه يناهض هذه الحقيقة التاريخية المعروفة – الحسني.)

ملاحظة من المحققة: إلا أن ل.ن. كوتلوف في كتابه "ثورة العشرين" ترجمة الدكتور عبد الواحد كرم، والذي صدر ضمن سلسلة الكتب المترجمة يذكر في ص 200 مايلي "فبينما كان المقدم لجمن الضابط السياسي في منطقة الفرات الأعلى يجتمع بالشيخ ضاري المحمود رئيس قبيلة الزوبع قامت جماعة من افراد القبيلة بمهاجمة الوحدات البريطانية، ثم التحق بهم الشيخ مع حرسه، وقد قتل ليجمان في المعركة من قبل (خميس ابن الشيخ ضاري)" – وأنا ارجح رواية مس بيل وكوتلوف، لأن بيل كانت تكتب رسائل خاصة لأبيها الذي تعزه وتجله فليس من المتوقع أن تكذب عليه في مثل هذه المسألة. كما لاننسى ان الحوادث التاريخية لها أكثر من رواية حسبما تلاقي هوى وأغراض راويها، ومن ناحية لا أعتقد أن شيخ زوبع وهو يتحلى بأخلاق العشائر يقبل استضافة لجمن له (وهو محتل بلاده) ثم يقتل مضيفه في بيته لمجرد غضبه من كلمة- بثينة الناصري

(9) هذا قول هراء، فالذي تحمل وزر الثورة هم العشائر وكان هؤلاء الذين تحملوا الوزر يريدون دولة عربية مستقلة فكيف يتفق هذا مع زعمها؟ - الحسني

(10) ما أغرب هذا الوهم – المترجم

(11) هو السر أرنولد ت. ولسن - المترجم

المندوب السامي الجديد (1)

3 تشرين الأول 1920(*)

كتبت إلى أبيها تقول أنها كانت خلال الإسبوع شديدة الإهتمام بالشؤون الزراعية وأنها حضرت عرضا أقيم في مزرعة القطن الحكومية حيث تجرى تجارب زراعة مختلف فصائل القطن وأن عددا من ملاكي بغداد قد حضروا معها وأبدوا مثلها اهتماما كبيرا بتلك التجارب.

وتقول المس بيل أن هناك نوعا أمريكيا من أنواع القطن يبدو إنه هو الذي سينجح وإن هناك مايحمل على الإعتقاد بأن القطن العراقي لن يكون أقل شأنا مما تنتجه أية دولة أخرى في العالم.

ثم تشير الى حفلة شاي أقيمت في دار اسرة العكيل هي اسرة عراقية معروفة، نجدية الاصل، وقد دعيت إليها هي والكابتن كليتن. وتقول المس بيل أن هذه العائلة من أواسط شبه الجزيرة العربية وإن افرادها يعتبرون أنفسهم من رعايا ابن سعود، وإنهم تجار وأدلة للقوافل وإن واحدا منهم كان دليلها حين ذهبت الى حائل بنجد منذ سنين.

10 تشرين الأول 1920

كتبت إلى أبيها وأمها الرسالة التالية:

"إني لا أدري ماذا كنت صانعة لولا رسائلكما الإسبوعية. إنها الحلقة الوحيدة التي تصلني بالعالم الخارجي. أني لأحس احيانا بعزلة فظيعة.

كان من المنتظر أن يصل السر برسي والليدي كوكس أمس. ولكنهما بقيا يوما آخر في العمارة والكوت وكان تأخرهما هذا هبة من الله بمقدار مايتعلق الأمر بي، إذ أنني كنت طريحة الفراش لبرد

شديد ألمّ بي أمس وماخرجت من البيت وأنا اليوم في حال أحسن، وقد أصح تماما غدا.

جرى لي حديث طويل مع ساسون أفندي (2) فقد زرت منذ أيام اخت زوجته فوجدت جميع الرجال هناك شديدي الرغبة في الكلام وقد قال ساسون أفندي أنه لن يكون أي من الشخصيات المحلية مقبولا كرئيس للدولة، لأن كل شخصية محلية أخرى ستحسدها. ثم ذهب يلقي بمقترحات مختلفة على سبيل جس النبض. مثال ذلك أن يكون رئيس الدولة أحد أبناء شريف مكة؟ أو أحد أعضاء اسرة سلطان مصر إن كان فيهم من يصلح للمنصب؟ أو أحد أعضاء أسرة سلطان تركيا؟ فقلت اني من جهتي واثقة بأن السر برسي لايهمه من يختاره العراقيون إلا أن يكون من الأسرة المالكة التركية فذلك غير ممكن في نظري. إنه يجب ان يكون أميرا عربيا. ثم إنهم سيوافقون على أي شخص يعتقدون إننا نسنده، ثم يدسون عليه الدسائس بلا انقطاع. إن هذا الخط من الحقل ليس بالسهل فلاحته. إن هذه التأملات حقيقة أن تلقي ضوءا على ماتقوله الصحف الإنكليزية التي يبدو منها إنه ما على السر برسي إلا أن يقول: هلم... وإذا بحكومة عربية تثب الى المسرح وإذا – أثينة- أخرى تخرج من جبهة (زيوس) (3).

إن لك ان تقول إن شئت أن السر برسي سيلعب دور زيوس بيد أن – أثينة- ستجد المسرح فيه عراقيل تافه من قبيل مشكلة الشيعة (4) والمشكلة العشائرية، والمسائل الأخرى التي تعثر بها حتى الآلهة.. بيد أنه إن لم يكن زيوس فإنه طبيب جد ماهر، طبيب يثق به المريض ثقة مطلقة. وهذه النقطة الأخيرة هي ذخيرتنا الكبرى ومن الواضح عندي انه مهما كان السبيل الذي يختار المضي فيه فإن من واجبنا السير وراءه بكل ماعند كل فرد منا من طاقة وقوة. بيد أن الحقيقة المستقرة وراء كل نقد موجه الينا – وهي التي تجعل الجواب عليه صعبا جدا- اننا وعدنا القوم بمؤسسات ذاتية الحكم ثم لم نتخذ خطوة نحو ذلك، بل وذهبنا نقيم شيئا مختلفا عنه كل الاختلاف. ولقد قالت احدى الصحف – وبالحق – اننا وعدنا بإقامة حكومة عربية لها مستشارون بريطانيون ثم أقمنا حكومة بريطانية ذات مستشارين عرب. ذلك قول عدل تماما.

أما من جهة المصاريف فإنك تعلم ان نفقات معيشتي هنا لاتشمل ما أحصل عليهم من انكلترا من ملابس وكتب وما اشبه ذلك. إن سعر كل شيء فظيع حقا. ولكن خير علاج لذلك الا يلتمس المرء الحصول على المزيد"

ولهذه الرسالة إضافة مؤرخة بيونم الثلاثاء الموافق 12 تشرين الأول، تقول فيها أن السر برسي كوكس قد وصل أمس وأن دائرة المعتمد السامي في اضطراب وفوضى، ولا أحد يقوم مؤقتا بأعمال السكرتيرة الشرقية حتى ينجلي الوضع وتنتظم شؤون الدائرة. وهذا ومن المعلوم ان السر برسي كوكس عهد اليها بعد ذلك بالفعل بمنصب السكرتيرة الشرقية له، وتقول المس بيل أنها ستكتب في الاسبوع المقبل في وصف الاحتفال بوصول السر برسي.

17 تشرين الأول 1920

كتبت:

"وصل السر برسي في الساعة 11، عند محطة غربي بغداد، وحين وصلنا الى المحطة في نحو الساعة الرابعة والنصف – وكان موعد وصول القطار في الخامسة والنصف – وجدنا ضربا من غرفة استقبال مفروشة بالسجاد ومرفوعة فيها الأعلام وفيها لاسياج الحاجز من دون الخ. وكان هاك القائد العام للقوات لامسلحة مع هيئة أركانه ورؤساء الدوائر وموظفو مقر السر برسي وقد أطلقت المدافع على سبيل التحية سبع عشرة طلقة ولما كانت الريح ضدنا لم نسمع بالقطار يقترب ولذلك فوجنا بنبأ اقترابه فاتخذنا مواضعنا على عجل، فعلى اليمين وقف السر إدغار مع رؤساء الدوائر وأنا فيهم، والى اليسار وقف القائد العام مع هيئة أركانه والسيد طالب النقيب، والنواب (5) وأمين العاصمة وواحد أو اثنين من الأعيان، ذوي النفوذ كالإبن الأكبر للسيد عبد الرحمن النقيب. وكان هناك خارج المكان الذي كنا فيه ضباط بريطانيون ومعهم زوجاتهم وجمع من الناس لم أستطع تمييزهم. وكان الوقت مقاربا للغروب حين وصل القطار فتقدم القائد العام لتحية السر برسي. وقد خرج السر برسي

من القطار مرتديا بزة بيضاء وبعد أن صافح القائد العام وقف للتحية بينما عزفت الفرقة نشيد – حفظ الله الملك – وقد وقع في نفسي إذ هو واقف هناك ببزته البيضاء المحلاة بالذهب وعليه سمت الوقار الجميل البسيط، أنه لم يتفق قط أن حدث مقدم أعظم من هذا خطرا، ولا استقرت على امرىء من الناس قبل السر برسي عواطف وآمال وشكوك ومخاوف أشد اصطراعا أو وُضِع في امرىء ثقة بالنزاهة والحكمة كالثقة التي وُضِعت فيه.

وحين دخل مكاننا المسيج قدمني السر إدغار اليه بينما ثنيت ركبتي له.. وذلك كل ما استطعت أن أفعله في سبيل ألا أبكي..

وما أن انتهت التقديمات حتى تقدم جميل الزهاوي الشاعر البغدادي الشهير فقرأ كلمة ترحيب (6) أجاب عنها السر برسي بالعربية قائلا: إنه جاء بأمر من حكومة صاحب الجلالة البريطانية ليتشاور مع أهل العراق بشأن إقامة حكومة عربية فيه تحت نظارة (7) بريطانيا العظمى. وقد سأل الأهالي التعاون معه على تحقيق ظروف مستقرة كي يتسنى له المضي في مهمته فورا. وكان الحاضرون يقاطعون خطابه بكلمات التأييد والموافقة.

وكانت الليدي كوكس والمستر فلبي والكابتن تشسمان – السكرتير الخصوصي للسر برسي – قد خرجوا عندئذ من القطار، وتبادلنا جميعنا التحايا الحارة.

ثم ذهبنا جميعا بالسيارات الى دار السر برسي.. وبعد أن قدمت لنا الليدي كوكس الشاي، اختفت هي والكابتن تشسمان لرؤية دارهما الجديدة الواقعة فوق الجسر وغير الجاهزة بعد للسكن بينما جلسنا انا والسر برسي والمستر فلبي نتحدث وقد لاحظت من اللحظة الأولى ان كل شيء على مايرام. فقد قال السر برسي انه ينوي إقامة وزارة عربية في الحال، كتدبير ضروري مؤقت دون ان ينتظر بلوغ تهدئة كاملة للوضع في البلاد. وكانت خطته أن يدعو شخصا ما الى تأليف وزارة وأن يعين هو مستشارين بريطانيين للوزراء، وقد اتفقنا جميعا على أن الصعوبة تستقر في الوقوع على الشخص الملائم لمنصب الوزارة. وكانت فكرته الأولى ان السيد طالب النقيب هو ذلك الشخص (8) ولكن المسألة كانت تقتضي النظر والأمل وقد قلت ان من الخير في نظري أن يرى الناس هنا اولا ثم يكون رأيه وسنبذل

غاية جهدنا في تحقيق أيما شيء يقرره والمهم ان ينتهي الى قرار ما.

من المستحيل أن أعبر لك عن الراحة التي يشعر بها المرء حين يعمل تحت إمرة شخص يثق به وبصحة حكمه ثقة تامة. إن السر برسي ليتقدم الى مهمته الشاقة مشقة غير عادية وهو راغب رغبة ثابتة في العمل لصالح أهل البلاد. (9)

وبعد ذلك تعشينا جميعا مع القائد العام. وقد جلست الى جنب السر برسي، واستمتعت جدا بالعشاء بالرغم من اني كنت جالسة في ممر تيار هواء شديد. هذا وقد نسيت ما إذا كنت اخبرتك أم لم أخبرك بأني مصابة بالتهاب القصبات الهوائية. فإني كذلك وما أرى سبيل الى العلاج، وعلى كل حال فتلك مسألة ثانوية.

وفي صباح اليوم التالي، ذهبت مبكرة الى الدائرة فاستدعاني السر برسي فورا وذهبنا نتحدث بشأن هذه البرقيات وأنا أحاول إخفاء أن ائتماني على الأمور الخطيرة تجربة جديدة عليّ كل الجدة. وما أن عدت الى مكتبي حتى بدأت أستلم الرسائل واستقبل الزوار وكل واحد منهم أشد غضبا من الذي قبله وكل منهم يقول إن في المدينة ضجة بسبب حفلة الاستقبال وذلك ان الوجهاء الذين دعوا قد حشروا جميعا إلا عددا قليلا منهم – في الأرض المتربة خارج المكان المسيج، وما سنحت لهم حتى فرصة مصالحة السر برسي. قال لي شيخ متقدم في السن من شيوخ العشائر وكان مهتاجا حقا: لقد جئنا حبا وطاعة ولكننا حين حاولنا الدنو من فخامته دُفِعنا وأُبعِدنا عنه حتى اخوان النقيب عوملوا مثل هذه المعاملة غير اللائقة.

ومن أجل ذلك قررت من فوري أن أخول نفسي واجبات سكرتيرة شرقية إذ لم يكن ثمة في الدائرة من يعرف بغداد وقد دعوت المستر فلبي لمساعدتي فحررنا معا مسودة دعوة لزيارة دار الاعتماد وجهناها الى جميع وجهاء بغداد. ولم نستطع الظفر بالسر برسي إلا قبيل موعد الغداء، ولكني كنت حينئذ قد هيأت قائمة بأسماء المدعوين – وهم أكثر من مائة- كما أني أعددت قائمة صغيرة بأسماء الذين يحسن أن يقابلهم مقابلة خاصة وقد وافق على كل شيء وأطلق يدي.. فأرسلنا الدعوة في مساء ذلك اليوم.

إني لا أزال أرتعد كلما فكرت فيما كان عسى أن يحدث لو لم نعالج الموقف في الحال، إذ لم يكن ثمة إنسان واحد من ذوي السلطة يفكر في الجانب العربي من الموضوع وفي كم كان من المهم أهمية قصوى ان يتصل السر برسي من فوره بالمدينة.

وفي تلك الليلة تعشى المستر فلبي معي وجرى بيننا حديث طويل مثمر.. وكان قد تناول الشاي معي أيضا وقد دعوت ساسون أفندي حسقيل للإجتماع به وكان الإجتماع قيما جدا لأن ساسون هو واحد من أعقل الناس هنا، ولقد استعرض الموقف كله بما عهد فيه من الحكمة والاعتدال.

وفي صباح اليوم التالي جرت حفلة الاستقبال وكان نجاحها عظيما."

وهنا تصف المس بيل هذه الحفلة، وكيف قسمت المدعوين ثلاث فرق نظرا إلى ضيق غرفة السر برسي وكيف انها دخلت مع إحدى هذه الفرق ورأت المندوب السامي يشرح لأفرادها المتحلقين في الغرفة منهاجه ويسألهم رأيهم فيه وكيف كان الجميع يخرجون راضين مسرورين.

ثم تقول إنها اتصلت بعد ذلك بالسيد عبد المجيد الشاوي أمين العاصمة وكان يدعى يومئذ رئيس البلدية، لمقابلة خاصة تمت عصر ذلك اليوم. ثم في صباح اليوم التالي جاء دور ساسون أفندي وآخرين. ثم وجبة اخرى من الوجهاء في يوم الجمعة. وكان السر برسي قد وصل يوم الاثنين الموافق للحادي عشر من الشهر تشرين الأول.

ثم تقول الانسة بيل:

"وفي عصر يوم الخميس دعاني السر برسي إليه لنتباحث في أمر اقتراح أشار به عليه ساسون أفندي في صدد تهدئة منطقة بعقوبة ومفاده أن يسأل أعيان بغداد الذين يملكون أراض كبيرة هناك أن يرسلوا في طلب مستأجري أراضيهم من أبناء العشائر ثم يوضحوا لهم نوايا السر برسي ويسألوهم بعد ذلك عما يدعوهم إلى القتال وقد رأى السر برسي في الحال أن هذه خطوة في الاتجاه الصحيح لأن فيها دعوة للبغداديين إلى المشاركة فيما يُعَد على كلٍ (لعبتهم) هم..

وقد أخبرت السر برسي بالذين ينبغي دعوتهم وأخذت على عاتقي كتابة الرسائل.
ثم أملى عليّ (بيانا) للجمهور بالمعنى نفسه وطلب إليّ أن يترجم إلى العربية فورا بالتشاور مع المستر فلبي.
وينبغي أن أعلمك بأن أخبارا مهمة كانت وصلتنا في الصباح ومفادها اننا قد احتللنا طويريج وأن كربلاء أصبحت على استعداد للإستسلام. وبناء على هذه الأخبار عقد السر برسي مجلس شورى مؤلفا من ايفلين هاول، والمستر فلبي ومني وقد تقرر في هذا المجلس ان تبلغ الحكومة المؤقتة التي أقامها الثوار في كربلاء بوجوب الاستسلام بلا قيد ولا شرط ووجوب أن يجيءأعضاؤها إلى بغداد بشرط الأمان لهم، لرؤية السر برسي ولقد أحدثت أخبار الفرات انطباعا عميقا في المدينة. (10)
وختاما لقصة لواء ديالى، أقول أن جميع الملاكين قد رضوا باقتراح السر فلبي وارتاحوا له. وسيرسل السيد عبد الرحمن النقيب إبنه صفاء الدين الذي جاءني صباح هذا الوم وأخبرني بكل ما سيفعله ثم في إثره جاء فخري الجميل وأطلعني على برقيات أرسلها إلى مستأجري أراضيه. لقد حققنا إذن نجاحا في هذا الأمر.
وفي مساء يوم الخميس ومن بعد أن أطلعنا السر برسي أنا والمستر فلبي على أسماء أعضاء الوزارة التي ستؤلف، اجتمع – باقتراح مني – بسائر جماعتنا: الميجر مري والميجر يتس والكابتن كلايتن، وجرى بيننا حديث جد مرضي. وقد أفهمته أن هؤلاء الرجال هم الذين سيعملون معه بكل قلوبهم، وهو ما احتاج إلى طويل وقت لأجل ان يكتشف ذلك. وفي ختام الجلسة طلب إليّ المستر فلبي أن يقدم إليه اقتراحا بتنظيم هيئة سكرتارية. إن هذه المسألة الشائكة هي أدق المسائل لأنها ذات طابع شخصي والذي نعتقده نحن أن من الضروري أن يكون لديه هيئة سكرتارية كاملة في دار (الإقامة) (11) هيئة تشمل سكرتيرا مدنيا وسكرتيرا سياسيا وسكرتيرا عسكريا وسكرتيرا خاصا.
أما أنا فقد التزمت الصمت أثناء النقاش. وماكان لي أن أفعل غير ذلك وأنا أعلم علم اليقين أن السر برسي لا يلويه عن طريقه شيء. لقد كانوا يعارضون إقامة حكومة عربية معارضة مريرة، ولكنه

مضى في طريقه قاصدا. إنه ليعلم أن ما ثم طريق آخر، وهو إذ قرر ماينبغي أن يفعله لم يعد ثمة ما يعدل به عنه. إن بساطته المباشرة ما ينقضي منها العجب. إني لأحسبني ما أزال في حلم، إذ أجد كل ماكنت أرى واجبا أن يتم، يتم بلا مناقشة. وأنا واثقة بأننا حين نجيء إلى المسألة الصعبة، مسألة معالجة أمر العشائر الثائرة في الفرات سيرمي السر برسي جانبا كل خواطر الانتقام والعقاب السخيفة ولا يأخذ مأخذ الاعتبار سوى سلام البلاد المقبل في ظل حكومة عربية.

والمسألة الأولى هي مسألة من هو الذي سيؤلف الوزارة؟ لقد اقترح معظم الذين قابلوا السر برسي اسم السيد عبد الرحمن النقيب (12). إنه سيقوم بمحاولة في هذا الاتجاه غدا وانا مقتنعة، لا بأن النقيب سيرفض تأليفها فحسب بل وبأنه سيرفض التوصية بشخص آخر لهذا الغرض.

وإذا رفض النقيب سد هذه الثلمة فليس من تدبير آخر سوى أن يقدم السر برسي نفسه بدعوة وتعيين أعضاء الوزارة المؤقتة. إن المعتدلين أنفسهم أخذوا يذهبون هذا المذهب. لقد اقترحه عليّ فخري الجميل صباح هذا اليوم ومالي من حاجة إلى ان اقول إني استقبلت الفكرة بأعظم الدهشة والاحترام. ذلك أني أريد أن يجيء كل شيء منهم لا منا. لكنهم إذا اقترحوا هذا المشروع على السر برسي فأي دليل رائع سيكون على صحة شعاري الأثير عندي وهو إننا إذا القينا المسؤولية عليهم فسيجيئون إلينا يطلبون العون.

والغرض من الوزارة المراد تأليفها لايزيد على أن تقوم بالإعداد للانتخابات العامة الأولى ثم إجرائها فحالما يتم ذلك تقوم الهيئة المنتخبة باختيار ممثليها الرسميين وتختفي الحكومة المؤقتة. ومن الواضح أن من غير الممكن – ونحو ثلث البلاد في ثورة علنية – إجراء انتخابات عامة. بيد أنه من الواضح أيضا – على مايرى السر برسي – أن من غير الممكن تأخير إقامة شكل من أشكال المؤسسات الأهلية.

إنهم جميعا يتوقعون منه أن يصنع شيئا ما في الحال، وهو إن لم يفعل أضعنا الفرصة الذهبية، وتزلزلت ثقة القوم بنا.

لقد مكثت في البيت طوال هذا اليوم إلا من نصف ساعة قضيتها مع السر برسي في مكتبه عصرا وقد سألني عما إذا كنت أوافق على

الالتحاق بهيئة أعوانه الشخصيين كسكرتيرة شرقية أو أي عمل يقرره لي فقلت إني راغبة في خدمته في أي عمل يختاره لي.

لقد وجدته داخلا في حديث مع رئيس تحرير جريدة – وطنية محلية وهو وطني متحمس. كان قد بدأ يأخذ عن السر برسي أحسن الانطباعات.

سألتزم جانب التعقل من جهة صحتي، وقد أظل في البيت غدا كي أشفى تماما.

هوامش:

* نشرت الترجمة في (الأهالي) في عددين 635 في 24-1-1961 و636 في 25-1-1961

(1) لم يكن برسي كوكس غريبا عن العراق فقد كان في عام 1909 المندوب البريطاني في الخليج العربي ثم صار مندوبا ساميا في العراق ثم تلاه ارنولد ولسن عام 1917. لكن بعد اندلاع ثورة العشرين وبعد ان صار الوضع في غاية التوتر والخطورة، اضطرت الحكومة البريطانية الى اتباع مناورة سياسية جديدة فأقالت ولسن وعينت كوكس ثانية. وكانت مهمته تستهدف تهدئة الثورة بإعلان عزم بريطانيا على تأسيس دولة عراقية مستقلة وإجراء بعض التنازلات ولكن في نفس الوقت العمل على شق الفئات الوطنية على بعضها وكذلك استمالة العناصر التي لا تكن العداء للانكليز وذلك بإجراء مباحثات مستمرة معهم منها مشروع انتخاب المجلس التأسيسي. – المحققة بثينة الناصري

(2) هو ساسون أفندي حسقيل وزير المالية في وزارة السيد عبد الرحمن النقيب 0 اول وزارة تشكلت بعد الاحتلال- كان الانكليز يعتمدون عليه جدا ويستشيرونه وقد حضر مع المس بيل وجعفر العسكري مؤتمر القاهرة الشهير الذي رأسه تشرتشل – وزير المستعمرات يومئذ- والذي تقرر فيه تنصيب فيصل ملكا على العراق، وذد ذكر – ابن خلدون – في (الاهالي) ان السيد عبد الرحمن كان يدعوه - ابو خضوري – المترجم.

(3) أثينة عند اليونان – ونظيرتها عند الرومان منيرفا – هي ألهة الحكمة والعلوم والآداب والفنون ايضا آلهة الحرب – قيل أنها خرجت من رأس ابيها كبير الالهة زيوس – وعند الرومان جوبتير- شاكية السلاح، تصور عادة وفي احدى يديها رمح وفي الاخرى درع وعلى رأسها خوذة – المترجم

(4) الثورة العراقية وجدت بين أهل المذهبين ثم جاءت الحركات الوطنية عقب ذلك تواصل هذه المهمة في توطيد الوحدة. – المترجم

(5) اي نواب تقصد؟ - المترجم

(6) ألقى الشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي في حفلة استقبال السر برسي كوكس قصيدة ورد فيها هذه الأبيات الثلاث:

عد للعراق واصلح منا مافسدا
وأثبت به العدل وامنح أهله الرغدا
الشعب فيه عليك اليوم معتمد
فيما يكون كما قد كان معتمدا
إرأف بشعب بغاة الشر قد قصدوا
إثارة الشر فيه وهو ما قصدا

ثم حمل على الثورة وعلى القائمين بها حملة شعواء وذمها ذما أنكره عليه الوطنيون، ولاسيما وانه كان قد رثي أبطالها بقصيدة محجلة قال فيها:

ماذا بضاحية الرميثة
من غطارفة حجاجح
ولمن أقيمت في البيوت
على كرامتها المناوح
ولآية ندبت من الليل
الحمامات الصوادح
قوم الى دار البوار مشوا
فمن غاد ورائح
طلبوا مساواة الحقوق
فطوحت بهم الطوائح.

" والشعراء يتبعهم الغاوون ألم ترهم في كل واد يهيمون وإنهم يقولون مالايفعلون" – الحسني 19-1-1972

(7) استعمل برسي كوكس الكلمة ذاتها أي (نظارة) في خطابه – المترجم.

(8) كان اشغال منصب المقيم البريطاني في الخليج العربي قد أكسب برسي كوكس خبرة واسعة بشؤون هذه المنطقة ومنها البصرة، والسيد طالب هو ابن نقيب البصرة – المترجم

(9) هنا كلام محذوف في الأصل – المترجم

(10) لما احتل الجيش البريطاني طويريج في 18 تشرين الاول 1920 واصل الجيش السير حتى حاصر مدينة كربلاء، فرأت الحكومة المحلية القائمة في كربلاء ان لامناص من ارسال وفد يمثل المدينة ليعرض طاعتها على مقر القائد الذي احتل طويريج – وهي لا تبعد عن كربلاء بأكثر من عشرين كيلومترا – فلما وصل هذا الوفد الى المقر المذكور صدر الامر اليه بمواصلة السفر الى بغداد وعرض الامر على السر برسي كوكس لتلقي أمره. فلما ول الوفد بين يدي كوكس ابلغ بالشروط الآتية:

1- تسليم سبعة عشر من أبرز الشخصيات في الحركة خلال 24 ساعة لمحاكمتهم

2- تسلم 4000 بندقية ومائة رصاصة مع كل منها خلال مدة ثلاثة ايام

3- دفع الضرائب المتأخرة ودفع تعويضات عن الاضرار التي لحقت بالحكومة

4- الطاعة لأوامر الحكومة

5- تسليم اللاجئين من الفارين

6- إذا لم ينفذ الشرطان 1 و2 ولم يقدم سبب معقول تفوض السلطة العسكرية باتخاذ التداير – الحسني

(11) أي دار الاعتماد – المترجم

(12) في حين تخبرنا بيل ان اختيار النقيب كان باقتراح عدد من الشخصيات، ينسب كوكس – في المقدمة التي كتبها لرسائل بيل – قرار اختيار

عبد الرحمن النقيب لنفسه فيقول "وعند ذاك شعرت بأن صديقي (النقيب)الذي قدم لنا عونا صادقا عند احتلالنا بغداد لأول مرة يستطيع الآن – إن شاء – أن يقدم خدمة وطنية عظيمة – وقررت ان أسأله تأليف الوزارة" – المحققة بثينة الناصري

تأليف الحكومة العراقية المؤقتة 1920

في 24 تشرين الأول 1920(*)

كتبت المس بيل الى أبيها تقول:

لقد ذكرت في الإسبوع الماضي أني مصابة بالتهاب القصبات الهوائية.. حسن.. لقد تغلبت عليها وقد أنفقت الايام الستة الماضية في داري وفي أحايين منها في الفراش ونتيجة لذلك تراني شفيت أو كدت أشفى. ثم أني بالرغم مما في ملازمة الفراش من تعب وإملال لم آسف من وجه ما على أن كنت بعيدة عن المساجلات الشخصية العنيفة التي كانت أصداؤها تصل الي، ولقد أخذ أهل بغداد على عاتقهم ألا أكون بمعزل عن الازمة السياسية.. فبحجة الإستفسار عن صحتي كانوا يجيئون فيجلسون على أريكتي الإيرانية الكبيرة التي وصلت بعد مغادرتك بغداد ليفرغوا عندي مخاوفهم وآمالهم. وقد حاولت أن أغلق بابي حتى الساعة الحادية عشرة صباحا، ولكني ما أصبت في ذلك نجاحا يذكر. فحين كان رئيس البلدية يجيئني في الساعة التاسعة صباحا أو حين كان النقيب يرسل ابنه السيد محمود كنت لا أجد بدا من أن أخرج لرؤتهما. والشيء الذي كان يرهق أفكارنا اننا ما كنا نحقق تقدما.. لقد كان السر برسي مغمورا بالتفاصيل التي لم تكن تدع له فراغا يدرس فيه القضايا الكبيرة، وماكان في الديوان كما يبدو من عنده من حضور الذهن مايحمله على الوقوف ببابه ليدفع مرور تلك التفاصيل عليه. ولهذا كان كل ماستطعت أن أفعله أن أرسل اليه تقريرا يوميا بالقال والقيل والاشاعات ونفاد الصبر، التي كانت المدينة تغلي بها مشيرة الى أن لاشيء يستطيع انهاءها غير اتخاذ قرار سريع. وهو كان في الواقع قد انتهى الى أن الخطوة الأولى التي ينبغي له اتخاذها هي دعوة

النقيب الى تأليف حكومة مؤقتة ولكن الايام كانت تمر وهو لا يجد الوقت اللازم لاتخاذ تلك الخطوة بالفعل.

وفي يوم الأربعاء جاءني شيوخ الفرات إثر مقابلتهم للسر برسي وكان أول من جاء منهم فهد بك شيخ مشايخ عنزة، وكان يبدو أصغر سنا في اي وقت مضى، وهو الذي شارف على الثمانين. ثم مضى يشرح لي مشروعه البسيط للمستقبل وخلاصته أن على السر برسي ان يعتمد مشورته في كل مايتصل بشؤون العشائر، أما فيما عدا ذلك فينبغي له ان يلتمس المشورة عند النقيب واثنين من اصحاب العمائم المتقدمين في السن.

ثم جاء علي السليمان، شيخ مشايخ الدليم، وهو رجل قدير لديه مشاريع اكثر ملاءمة للظروف الحديثة من مشاريع فهد بك. ثم تلا الشيخين شيوخ آخرون، دونهما شأنا ومافيهم مغفل.

وفي يوم الخميس بلغتني رسالة من السر برسي، مفادها أنه دعا الى ندوة شورى تجتمع عصر ذلك اليوم في داري، ومادمت أنا لا أستطيع الذهاب الى الدائرة. وقد اجتمع القوم في الساعة الثالثة بعد الظهر وهم السر برسي وايفلين هاول والمستر سليتر وقد كشف السر برسي عن مشروعه القاضي بتأليف حكومة مؤقتة من وزراء عرب ومستشارين بريطانيين.. وتلا ذلك نقاش مهم شيق دام ثلاث ساعات.. وفي الأخير استقر رأي السر برسي على مشروعه بعد إدخال تغييرات غير مهمة عليه. وأعلن أنه الآن بسبيل عرضه على النقيب.

وفي يوم الجمعة لم يحدث شيء آخر. وقد زارني من الناس ما لاعداد لهم، حتى خيل الي ان كل ما في بغداد من قلق واضطراب كان يدور كدوامة الماء حول حديقتي.. وفي المساء جاء – تود – وزوجته وعندهما نفس الحكاية "عجلوا عجلوا " وبهذه النغمة أرسلت تقريري اليوم الى السر برسي.

وقد بدأ يوم السبت بزيارة بارزة – بزيارة من جعفر باشا العسكري، إنه أمير اللواء ذو الخدمة الممتازة أولا مع الترك ثم مع فيصل. كنت رأيته في دمشق في السنة الماضية وقد كتب الي مرارا.
قلت له أن من واجبه كفرد وكوطني أن يساعد على تأسيس أي شكل من أشكال المؤسسات العربية في العراق، وإنه إذا مضى هو والآخرون قدما بجرأة معتمدين على تأييدنا فإنهم سيسكتون كل نقد. ولا أدري هل صدقني أم لم يصدقني. إن جعفر هو أول عراقي يعود من سوريا، وعلى موقفه سيتوقف الشيء الكثير (1)
ثم جاء السيد حسين أفنان وماكدت أشرع في حديث قلب لقلب معه، بشأن بعض مقالات افتتاحية ينوي نشرها في صحيفته، حتى دخل المستر فلبي وآخرون ثم السر برسي ثم مالبث الجميع ان خرجوا ماعدا المستر فلبي. فأقبلنا على السر برسي وقد انبهرت انفاسنا تشوقا وتطلعا، فقال – لقد وافق – وكان قد جاء رأسا من عند النقيب، الذي وافق على تشكيل حكومة مؤقتة.. إذن فقد حققنا نجاحنا الاول، وما كان غير برسي بقادر على تحقيقه. بل أن استطاعته حتى هو على حمل النقيب على المساهمة في الشؤون العامة لم تكن بأقل من معجزة. ولم يكن ابتهاج السر برسي وانشراحه ليعدله شي إلا ابتهاجنا نحن وانشراحنا ولقد جلسنا نصف ساعة نكاد نتوثب طربا ونحن نمجد النقيب تارة والسر برسي تارة أخرى"

في 1 تشرين الثاني 1920(**)

كتبت الى ابيها تقول:
"مررنا بإسبوع جد حرج ودقيق. ولكن الأمور تجري بالجملة على مايرام.

وفي ليلة الاثنين أعِدت رسائل النقيب وبرقياته إلى الـ 18 شخصا الذين دعاهم إلى الاشتراك في – مجلس الوزراء – وفي تلك الليلة تناولت طعام العشاء مع الكابتن كلايتن والميجر مري لمقابلة جعفر باشا.. وقد قلت فيها – إن الاستقلال التام هو ما كنا راغبين في إعطائه - فقال (وكنا نتكلم العربية)

"مولاتي، الاستقلال التام يؤخذ ولا يعطى" وإنه لقول عميق

الرجل مثالي النزعة، رفيع الغرض، متحمس لبلاده، وبني جنسه (2) وحين افترقنا في ذلك المساء كنت أرى أنه لن يرفض دعوة النقيب له إلى الاشتراك فيها وزيرا للدفاع.

وهو بالفعل لم يرفض.

وفي ذلك اليوم ورد عدد من الأجوبة التي تتضمن الموافقة على الاشتراك في الوزارة.

وفي عصر اليوم أقمت حفلة شاي كبرى لفهد بك وآل عكيل.. كانت الجلسة رائعة حقا. لقد جلس فهد بك يروي قصصا عن الصحراء ثم اختتم حديثه بأن فتح ثيابه أراني ثقبا ضخما في صدره، نشأ عن طعنة من حربة في ظهره أثناء غارة له في شبابه. قال "وقد نظرت إلى صدري فوجدت رأس الحربة بارزا منه" وما كان في وسع أحد غير عربي من أبناء الصحراء ان يعيش بعد طعنة كهذه.

وفي صباح الأربعاء كان كل شيء فيما يبدو على مايرام.. وفي العصر جاء الميجر يتس مع تود وزوجته وقد فاجأنا المستر تود بأنه قد زار ساسون أفندي لتهنئته بمنصب وزير المالية، فوجده مع حمدي باشا بابان – الذي كان عرض عليه منصب وزير بلا وزارة – ووجدهما معا على أهبة الرد بالرفض.

عندئذ تركت كوب الشاي دون أن أشربه وهرعت الى الديوان لأخبر المستر فلبي بالأمر. فلم أجده هناك. ولكني وجدت ضوءا في غرفة السر برسي. فدخلت عليه وأخبرته فكلفني بالذهاب حالا إلى ساسون أفندي، وحمله على تغيير رأيه.

فخرجت وأنا أشعر كأن مستقبل العراق كله قد اجتمع في يدي. ولكن حين بلغت دار ساسون أفندي، تنفست الصعداء إذ وجدت المستر فلبي والكابتن كلايتن قد سبقاني إليه. وكان النقيب قد استلم رسالة ساسون، فأرسل المستر فلبي إليه بأقصى السرعة، على أني وصلت في اللحظة الحرجة، وفي الوقت المناسب وكان فلبي وكلايتن قد استنفذا كل ماعندهما من حجج وظل ساسون مع ذلك عند قراره. وأعتقد أن قلقي العظيم قد ألهمني، إذ بعد ساعة من الإلحاح المركز ظهر عليه بوضوح أنه قد تزعزع عن موقفه، فبالرغم من أن أخاه شاؤول – الذي أكن له الإعجاب والاحترام هو أيضا – قد بذل مافي وسعه ضد مسعانا – وأخيرا حملنا ساسون أفندي على أن يعيد النظر في موقفه وأن يرى السر برسي في اليوم التالي، وقد كان عندي اقتناع داخلي بأننا كسبنا الموقف. من أسباب ذلك ماكنت أنا شخصيا قد اقمته من علائق الثقة والاعتماد مع ساسون. على أن أحدا منا ما كان واثقا بالنتيجة.

ولم أنم كثيرا في تلك الليلة.. لقد ذهبت أقلب في ذهني الحجج التي أدليت بها وأتساءل عما إذا كان لم يكن في وسعي أن أدلي بخير منها.

وفي صباح اليوم التالي – وهو الثلاثاء – جاءني ساسون افندي في الساعة العاشرة فذهبت به رأسا الى السر برسي وتركتهما معا. وبعد نصف ساعة عاد فأخبرني بأنه قد وافق. ثم سألني عما يستطيع فعله في سبيل مساعدتنا في مهمتنا، فأرسلته الى النقيب رأسا وكان نقيب بغداد هو أيضا قد رفض الاشتراك في الوزارة. وكان من الضروري حمله على قبول الاشتراك في الوزارة والشكوك التي تساوره. ثم تباحثنا في كيفية اكتساب المتطرفين وقد أكدت له أن اكتسابهم هو أهم مايرغب فيه السر برسي. فسألني – وقد تشجع – عما إذا كان يستطيع أن يتحدث إلى السر برسي فأخذته في الحال

إلى السر برسي وتركتهما معا وأنا مقتنعة بأن السر برسي هو خير من يشرح سياسته.

وفي صباح يوم السبت، ذهبت أنا والمستر فلبي إلى النقيب، وكان المستر فلبي هو الواسطة بينه وبين السر برسي وقد قام بهذه المهمة على أحسن مايرام"..

وهنا تقول المس بيل أنهما وجدا النقيب طلق الوجه مشرق الأسارير ووجداه عازما كل العزم على أن يكون هو دون سواه على رأس الوزارة أو "مجلس الوزراء" وأنه بعث الى المعتمد البريطاني برسالة فحواها أن تكون هي – أي المس بيل – الواسطة بينهما في أي وقت يتعذر فيه على المستر فلبي القيام بذلك.

ثم تقول إنها أقامت في المساء مأدبة عشاء لجعفر العسكري وساسون أفندي وعبد المجيد الشاوي رئيس البلدية ودعت إليها المستر فلبي والكابتن كلايتن والميجر مري وكان غرضها من المأدبة تحقيق الإتصال بين الثلاثة الأولين. وتقول أن جعفر العسكري طالب – بلغة مؤثرة – تسوية التحقيق مع العشائر الثائرة.. وقد ارتأى ساسون أفندي أن يشرك النقيب معه في مجلس الوزراء، أحد زعماء كربلاء أو النجف.

إن المس بيل ساخطة على الشيعة وزعمائهم بسبب واحد هو ثورة العشائر ورفض أغلب علماء الشيعة – في ذلك الوقت – "التفاهم" مع الانكليز كما سنرى بعد هذا بقليل.

وبعد العشاء تكلم المجتمعون عما كان يسمى – بالجيش العربي – فتساءل جعفر العسكري عن الطريقة التي يستطيع بها جمع المتطوعين لأن شروط الانتداب تمنع من التجنيد الاجباري. ثم تحدث عن زيارته للكاظمين واجتماعه بعلماء الدين فيها وعن رفضهم التعاون مع حكومة النقيب وإصرارهم على أن تكون الحكومة ينتخبها الشعب وأن لا فائدة ترجى من أي وضع آخر.

وتقول المس بيل بعد ذلك أنها ذهبت مع الكابتن كلايتن إلى دار السيد شكري الآلوسي لتناول الشاي وإن مما يدعو الى عظيم فخرها أن بابه مفتوح لها في كل وقت. وتختم رسالتها بقولها إن مجلس الدولة – او مجلس الوزراء (3)- سيجتمع غدا.

هوامش:

*نشرت ترجمة هذه الرسالة في (الاهالي) عدد 638 في 27 كانون الثاني 1961

(**)نشرت في جريدة الأهالي عدد 641 في 31-1-1961

(1) لكونه من العهديين – المحققة

(2) كذا! – المترجم

(3) تكونت الوزارة الأولى ممن يلي:

السيد عبد الرحمن الكيلاني رئيسا للوزارة، والسيد ساسون حسقيل وزيرا للمالية، وطالب النقيب وزيرا للداخلية، وجعفر العسكري وزيرا للدفاع، ومصطفى الآلوسي وزيرا للعدل، وعبد اللطيف المنديل وزيرا للتجارة، وعزت باشا الكركوكي وزيرا للمعارف والصحة، ومحمد علي فاضل وزيرا للنافعة (اي الاشغال والمواصلات) (ثم اسندت اليه وزارة الاوقاف، وصار عزت الكركوكي وزيرا للنافعة) ثم اسندت وزارة المعارف الى محمد مهدي آل بحر العلوم – المحققة.

الاجتماع الاول للوزارة

في 7 تشرين الثاني 1920(*)

كتبت إلى أبيها الرسالة التالية:

"لم يحدث في هذا الإسبوع حدث ذو بال نسبيا. لقد اجتمعت الوزارة للمرة الأولى يوم الثلاثاء، ولكنها لم تصنع شيئا كثيرا غير أنها تباحثت فيما يمكن أن تكون عليه الصلة بين الوزراء ومستشاريهم البريطانيين، وقررت في النهاية استيضاح السر برسي عن هذه المسألة.

وقد باحث السر برسي النقيب في الموضوع كله بكثير من العناية على أساس مذكرة ممتازة كان وضعها المستر فلبي والذي أعتقده إنه سيجتمع بالوزارة غدا.

ومن بعد اجتماع مجلس الوزراء المقدم ذكره، أرسل النقيب في طلب فهد بك. فلما حضر سأله عما إذا كان على استعداد لنقل رسالة من الوزارة إلى العشائر الثائرة.. فما كان من فهد بك إلا أن جاءني على جناح السرعة وقال لي:

- خاتون.. أنا أعرف لج وكوكس (1) أعرف له، بس هل حكومات العربية ما أعرف شي عنها.. وأنا مراح أنطي النقيب جواب – كبل ما أعرف – كوكس موافك لو لا.

فطلبت المستر فلبي وذهبنا معا نطمئنه فقال:

- يا خاتون، يا فلبي.. وراسكم كولوا كوكس راح يوافك؟

وقال لي إنه لم يستطع النوم، خوفا من أن يفعل شيئا يخالف سياسة كوكَس – بفتح الكاف الثانية – فلم يسعني إلا أن اشعر بأن لا خوف من أن يضعف نفوذ كوكَس – بفتح الكاف الثانية – مادام عندنا حلفاء في مثل ولاء فهد"

ثم تقول المس بيل أن وزارة النقيب كان ضدها - بالإضافة إلى الموالين للأتراك – جميع زعماء الشيعة تقريبا، أما أولا فأنهم كانوا يعتبرونها صنيعة للإنكليز وأما ثانيا فلأن عدد الشيعة فيها أقل جدا من عدد السنة.

وبعد أن تقول إنها واثقة بأن السبيل الذي اختار السر برسي المضي فيه هو خير الطرق الممكنة وإن كان لايرضي إلا قليلا من العراقيين ويؤدي أيضا الى السلام الفوري، تمضي فتقول:

"إن علينا أن نشرع في انتخاب جمعية وطنية حالما يتسنى لنا ذلك وسأكون مخطئة جدا – وأنا على كل حال كثيرا ما أخطيء – إن لم يطلبوا تنصيب أحد أبناء الشريف أميرا عليهم. إن ذلك في نظري هو الحل الوحيد".

في 14 تشرين الثاني 1920

كتبت إلى أبيها تعلمه بأن الوزارة قد قبلت بمشروع السر برسي كوكس الخاص بالعلاقات التي يجب أن تقوم بين الوزراء ومستشاريهم من غير تغيير شيء فيه. وقد وضع المشروع المستر فلبي.. وتقول المس بيل في رسالتها إن وزارة الداخلية ستنتقل في اليوم التالي إلى السراي الذي كان مقرا للإدارة التركية ثم تذكر أن دوائر السراي كانت اتخذت في السنة السابقة مساكن للضباط الانكليز وزوجاتهم، ولولا وزارة الحرب البريطانية قد أمرت زوجات الضباط بالعودة الى بلادهن لما أمكن استعادة السراي مقر الدوائر الحكومية وهو ماكان يطالب به الاهلون وقد كان اتخاذ السراي مقرا للوزارة – هو الطريقة الوحيدة – على رأي المس بيل – لإشعار الناس بأن لديهم حكومة عربية.

ثم تقول المس بيل:" لا يزال الشيعة على موقفهم العدائي وشكواهم الرئيسة إن الوزارة لاتضم منهم وزيرا – ذا وزارة – واعتقد ان تغييرا وزاريا سيحصل بغية إدخال واحد منهم في المجلس كوزير ذي وزارة(2)

وهناك ايضا حزب موال للترك وأغلب أعضائه من الضباط والموظفين السابقين في العهد التركي وهؤلاء لايريدون إقامة حكومة عربية، ويصرحون بأنهم لن يعملوا فيها لأن الترك عائدون لامحالة. وتقول المس بيل بعد ذلك أنها بدأت بتنظيم دائرتها كسكرتيرة شرقية للمعتمد – او المندوب – السامي وأنها ستفرغ خلال الاسبوع من اول تقرير من تقاريرها التي تعدها لمصلحة الاستخبارات البريطانية مرة في كل اسبوعين.

في 29 تشرين الثاني 1920

كتبت إلى أبيها تقول إن ثورة العشائر تعرقل جدا سياق تسليم الإدارة للحكومة العربية ثم تقول إن السر برسي كوكس قد قرر إخضاع العشائر الثائرة بالقوة، وإرغامهاعلى تسليم أسلحتها وتعليق إعلانه العفو العام على استسلامها وتقول إن العشائر قد طلبت مرارا أن تجري المفاوضات عن طريق المجتهد الأكبر الذي ستضع السلاح بأمر منه. ولكن برسي كوكس رفض توسيط المجتهد لأنه لايريد ان يعترف لعلماء الدين بسلطان سياسي (3). والمس بيل تمتدح هذه الخطة وتقول إن المعتمد السامي ينفذها بكثير من البراعة والكياسة وأن اجوبته على رسائل العلماء لايحسن كتابة مثلها أحد سواه.

ثم تقول إن تسليم الإدارة الحكومية من يد إلى يد أخرى لا يمكن أن يتم في طرفة عين.. وبعد ذلك تتحدث عن أمور غير مهمة.

في 4 كانون الأول 1920

كتبت إلى أبيها رسالة قصيرة وصفت فيها زيارة قامت بها أميرة ايرانية عجوز من الأسرة القاجارية – وهي الأسرة التي حكمت إيران قبل الأسرة المالكة الحالية.

وهذه الأميرة هي إبنة ناصر الدين شاه. وقد قدمت إلى الكاظمين في "زيارة" واستأجرت دارا صغيرة فيها.. وقد وجدتها المس بيل مضطجعة في فراش مبسوط في أرض الغرفة وقد اتكأت على وسائد وتغطت بلحاف. وكانت متلفعة بالسواد إلا من يديها وبعض وجهها الجميل التقاطيع. وكان ثمة في الغرفة المفروشة بالبساط والمسدلة فيها الستائر دفعا للبرد، قفص فيه ببغاء، و"منقلة" فيها فحم متقد..

وتقول المس بيل إن الأميرات القاجاريات قد اعتدن "زيارة " الكاظمية بين الوقت والوقت.

هوامش:

(*) نشرت الترجمة في (الاهالي) عدد 642 في 1-2-1961

(1)يلفظ كوكس بتسكين الكاف الثانية، ولكن شيخ مشايخ عنزة يلفظه – كمعظم العراقيين يومئذ – بفتحها -المترجم.

(2) لم يكن النبي محمد (صلعم) شيعيا أو سنيا في أيامه الغر ولم تكن المذاهب الإسلامية المختلفة معروفة في تلك الايام المحجلة وقد ظهرت البراعم بعد وفاته (صلعم) وعملت العوامل الفارسية والتركية على تغذيتها وتعميقها. ولكن المسلمين كانوا – ومازالوا –يظهرون كتلة واحدة أمام أية نازلة تحل بهم.

ولما شعر المسلمون في العراق بثقل الاحتلال البريطاني وحدوا صفوفهم وتناسوا خلافاتهم المذهبية وظهروا كتلة متراصة امام الأجنبي الغاصب. فلما وصل السر برسي كوكس الى العراق في 11 تشرين الاول 1920 وأقنع النقيب السيد عبد الرحمن بتأليف حكومة مؤقتة تهتدي بهديه وتسير تحت إرشاده وطبق تعلمياته، لم يستطع إشراك العناصر الوطنية في هذه الوزارة سواء كانت هذه العناصر شيعية المذهب او سنية وإنما بعض من أحسن الظن فيه، وعلى

هذا لا يصح الإدعاء بأن الشيعيين لم يكونوا راضين عن هذه التشكيلة الوزارية لأنه ليس فيها من الوزراء الشعيين مايساوي نسبة نفوسهم الى سكان العراق – الحسني.

(3) لما أتم الإنكليز احتلالهم للعراق تفننوا في استمالة رجال الدين الى جانبهم بمختلف الطرق فمنهم من لقي استجابة لهذا التفنن ومنهم من ترفع عن ذلك، وكان الموالون من الطبقة التي لايعترف الناس لها بأية فضيلة وقد سمي هؤلاء "علماء الحفيز" اي "علماء الاوفيس"office ولم يكونوا موضع الاحترام والتقديس. اما الذين ترفعوا عن الاستجابة لمحاولات السلطة. فهم رجال الدين الذين تنقاد لهم ولفتاواهم جماهير الناس في الفتاوي والاجتهاد والذين يقودون الشعب، وقد سعت السلطة بمختلف الطرق الى التفاهم معهم دون ان تحصل على اية نتيجة. تدلنا على ذلك المراسلات التي بدأها السر ولسن الحاكم الملكي العام مع شيخ الشريعة الذي ورث الزعامة الدينية بعد وفاة زعيم الثورة العراقية الشيخ محمد تقي الحائري لعقد المصالحة بين السلطة والثوار والتي تقدمتها مراسلات بينه وبين زعيم الثورة الروحي، فلما اصطدمت السلطة بصلابة علماء الدين الحقيقيين صارت تتظاهر بالترفع عن قبول وساطاتهم الوهمية – الحسني.

الجمعية التأسيسية

في 12 كانون الاول 1920

كتبت الانسة جروترود بيل الى ابيها السر هيوبيل تقول:
"قد مضت على آخر بريد وصلني ثلاثة اسابيع بالضبط. ترى أتصل رسائلي إليكما بانتظام؟ إني اكتب كما تكتب انت مرة في الاسبوع، ولكن ليس عندي في هذا الاسبوع شيء كثير يصلح لأن يكتب عنه فقد كنت معتلة بسبب برد أصابني. وقد بقيت في الدار يومين ثم لم أطق البقاء فيها فعدت إلى الديوان.

فكرتنا هي أن تضم الجمعية التي ستنتخب ثلاثين عضوا من رجال العشائر وأن يمثل عشرون منهم العشائر الكبيرة ويمثل كل واحد من العشرة الباقين مجموعة من مجاميع العشائر الصغير المتوزعة في الألوية العشرة الجديدة. (1)

ولقد زودت – لجنة قانون الانتخاب – بالمعلومات اللازمة، واخترت العشرين عشيرة ولا أعتقد أن المجلس (2) سيعترض على الذين اخترتهم وسيحاول جميع الملاكين الكبار في المجلس استبعاد العشائر. والذي اتوقعه ان العشائر ستقترح بوساطة لجنة مؤلفة من كبار شيوخها ثم يقوم هؤلاء بانتخاب واحد منهم.

إني وأنا أكتب هذه الرسالة وصلني البريد وفيه رسائل طويلة مبهمة "

وتلي هذا بضعة أسطر لاتنطوي على شيء ذي بال.

هذا ويرجى إذن أن يلاحظ أن وضع المس بيل قائمة بأسماء من – سينتخبون – من شيوخ العشائرمعناه انها قد "عينتهم" مقدما.

والرسالة التالية التي بعثت بها إلى أبيها بعد رسالتها المتقدمة، صلة بالموضوع... فتدبرها.

بغداد في 18 كانون الاول 1920

"إن المجلس – أي مجلس الوزراء- ما انفك يؤكد له – السر برسي- الحاجة الحيوية إلى الشروع في تشكيل جيش من دون فرض شكل من أشكال التجنيد الإجباري، وإلا فإن تكاليفه قد تكون من الفخامة بحيث تحول دون تشكيله. إنهم إذا أرادوا منافسة سوق الأيدي العاملة فينبغي لهم أن يحسبوا حسابهم على أساس اعطاء الجندي ستين ربية على الأقل شهريا. على أن هذه المسألة لايمكن أن يبت فيها سوى الجمعية التي ستنتخب. هذا وإن لدى جعفر – الآن لجنة من الخبراء زوده بها المقر العام لجيشنا في العراق بناء على طلبه وهي تنظر الآن فيما ينبغي اتخاذه من الخطوات في هذا السبيل وجملة رأيها الراهن أن من الممكن أن يكون لدى العراق لواء واحد في خريف 1921 وفرقة عربية في خريف 1922 وهذا معناه أنه سيكون في وسعنا خفض قواتنا عندئذ إلى فرقة واحدة مع إبقائنا فرقتين حتى ذلك الوقت.

ليس في وسع حكومة في هذه البلاد – سواء أكانت بريطانية أم عربية – أن تحكم إلا وهي مستندة إلى القوة المسلحة ولن يكون لدى الحكومة العربية مثل هذه القوة إلا إذا نظم جيشها وهي لذلك لاتستطيع البقاء الآن إلا إذا أعرناها قوات من قواتنا."

وبعد أن تشير المس بيل إلى أن أغلب سكان العراق هم من أبناء العشائر الذين لا استعداد عندهم لاحتمال أعباء المواطنة ونفقاتها وأن أهل المدن يجب أن يسيطروا عليهم الآن وإنهم سيحتاجون لذلك إلى القوة اللازمة لحفظ الأمن الداخلي، تعود إلى موضوع الإنتخابات فتقول إن قانون الإنتخاب قد عرض في يوم الإثنين على مجلس الدولة – مجلس الوزراء – وإن أعضاءه قد عارضوا جميعا – ماعدا خمسة منهم – في وضع ترتيب خاص لتمثيل العشائر وارتأوا وجوب أن تسجل وأن تقترع كسائر السكان.

وهنا تقول المس بيل:

"إن ذلك خليق أن يحول دون قيام العشائر بدورها إذ على حين أن أغلب سكان العراق هم من أبناء العشائر ومن الشيعة، نرى – كما لاحظ عبد المجيد الشاوي بحق – أن أحدا منهم أو من الشيعة لم يفز في أربعة انتخابات جرت في العهد التركي (3)

وفي صباح اليوم التالي جاء إلى مكتبي ساسون أفندي وداود يوسفاني – وهو موصلي – للتداول معي في الموضوع وقد اتفقنا جميعا على أن إغراق ابناء العشائر لسكان المدن يفضي إلى كارثة على أني أكدت هذا الإعتبار وهو إنه مهما كان الذي جرى في العهد التركي فإن الحكومة العربية في العراق لن يرجى لها النجاح إن لم تعمل في خاتمة المطاف على إشراك ابناء العشائر في جهودها. وقد أثار الزائران اعتراضات قيمة على مسألة انتقاء ممثلين من عشائر كبيرة مختارة ولكننا اتفقنا أيضا على أن في الممكن التغلب على هذه المشكلة بأن يحدد عدد ممثلي العشائر في كل لواء، ثم تقدم جميع عشائر ذلك اللواء - أي يقوم شيوخها- باختيار أولئك الممثلين أما أفراد العشائر العاديون فلن يشتركوا. وقد وضح عندي أن هناك كثيرا من سوء الفهم لآراء السر برسي الرامية إلى اعتبار تمثيل العشائر- في الجمعية المقبلة – تمثيلا مناسبا أمرا جوهريا.

ولقد نقلت إليه الحديث كله وكان من نتيجة ذلك أن بعث إلى المجلس برسالة تدعو إلى الإعجاب. قال فيها إن الجمعية المنتخبة التي ستبت في مستقبل العراق يجب أن تضم ممثلين لجميع قطاعات المجتمع وأن من الواجب أن يكون في وسعه تأكيد ذلك لحكومته وقد اقترح جعفر باشا بديلا من الطريقة المقدم ذكرها وهو أن يكون التمثيل على أساس الألوية، لا على أساس عشائر معينة. فقلت إن اقتراحه يفي بالغرض كل الوفاء.

وفي صباح اليوم التالي عاد هو وساسون ومعهما تنقيح للمشروع، مفاده أن يتقرر لكل لواء ممثلان من رجال العشائر (4)

على أن يكون في وسع من يشاء من أبناء العشائر أن يقترع بالطريقة العادية إن هو سجل اسمه.

اقتراح ممتاز لأنه يضمن وجود ما لايقل عن عشرين ممثلا للعشائر في الجمعية ثم لا يحول في الوقت دون اشتراك من شاء من أبناء العشائر في الإنتخابات كسائر الناخبين المسجلين.

وقد أُقِر هذا المقترح بصورة نهائية في جلسة (5) مابعد الظهر. ولا شك في أن رسالة السر برسي قد ساعدت في الوصول إلى النتيجة المطلوبة.

وفي مجرى الإسبوع زارني عضوا المجلس اللذان هما من شيوخ العشائر زيارات طويلة (6) والشيخان كلاهما راض عن الوجهة التي اتخذها قانون الإنتخابات.. وقد قلت لهما إن المسألة كلها في أيديهم – تعني العراقيين – وإننا لا يهمنا من ينصبونه أميرا عليهم أو شكل الحكم الذي يختارونه بشرط تأكدنا من كون الإختيار قد تم من دون ضغط أو إرهاب.

وإجمالا لانطباعاتي خلال هذا الإسبوع أقول إن الشعور يتزايد عندي بشدة حرص القوم الذين نتعامل معهم هنا على العمل معنا إتباع مشورتنا. إنهم لايفتأون يزورونني في مكتبي يستشيرونني في آراء السر برسي بشأن كبير المسائل وصغيرها على السواء. مثال ذلك أن يقترح مقترح منهم اسم فلان متصرفا للحلة – أفهذا صحيح؟ فأقول بلهجة حازمة "نعم إن هذا صحيح" وعندئذ يتنفس محدثي الصعداء ويمضي ليدلي بصوته لصالح صاحبه وكذلك الشأن في قانون الانتخاب – فمن ساسون أفندي فنازلا- تراهم جميعا يريدون ان يتبينوا طريقهم الى الالتقاء بوجهات نظرنا. وأنا لا أدع فرصة تمر إلا وقلت إن رأينا إنما تقوده رغبتنا في تحقيق خير ما نستطيع تحقيقه عن طريقهم وطريق أهل البلاد وأنهم أدرى ببلادهم فما الذي يرونه تحقيقا لهذه الغاية؟ وعلى هذا الأساس نناقش المسألة سواء

أكانت هذه المسألة قانون الإنتخاب او دعوة إلى عشاء. والذي أراه – إن لم أكن مخطئة جدا – أننا قد كسبنا ثقة القوم الذين نعمل معهم.

عجبا ماذا سيقررون وماذا سنقرر ماذا سيحدث؟ ثم أية رسالة لاتنتهي هذه. هل أزعجتك؟"

في 25 كانون الاول 1920

بعثت مس بيل بآخر رسالة لسنة 1920 وهي معنونة إلى أبيها:

"لأحكين لك حكاية سخيفة. وهي حكاية لا تُفهم من دون سابق علم بقليل من التركية.. إن في هذه اللغة اصطلاحا ظريفا وهو إذا أرادوا أن يعبروا عن معنى قولنا "كذا وأمثاله" أو "كذا ومن لف لفه" كرروا اللفظ مبدلين حرفه الأول ميما وقد انتهى إليّ أخيرا حديث جرى بين الشريف حسين وعربي من هذه الأنحاء وهذا الأخير هو الذي رواه لنا.. قال "كان الشريف يرغي ويزبد صابا جام غضبه على جميع الناس وفي سورة غضبه صرخ قائلا:

- من يكون هذا الكوكس موكس (7) وهذا الفلبي ملبي؟

وقد سر السر برسي كوكس لهذه القصة.

لقد أخذت أشعر في المدة الأخيرة شعورا قويا بمدى رغبة أصدقائنا من العرب في استرشادنا. إنهم لايفتأون يجيئون إليّ لا ليستشيروني فيما ينبغي أن يكون عليه سلوكهم في الحاضر فقط بل ليسألوني عن المستقبل ايضا "وشتشوفين خاتون؟"

الشيء الواضح كل الوضوح في ذهني أن هناك حلا عمليا واحدا: أحد أبناء الشريف والمختار منهم فيصل – إنه على التحقيق – المختار أولا وقبل سواه.

هوامش

*نشرت في (الاهالي) عدد 644 في 3-2-1961

(1) حرفيا "التقسيمات او الاقسام العشرة الجديدة " أي الاقسام الادارية وأنا افهم من هذا التعبير الألوية التي يبدو ان العراق كان قد قسم اليها حينئذ – المترجم

(2) أي – مجلس الدولة – وهو الاسم الذي أطلق حينئذ على مجلس الوزراء كما مر في رسائل سابقة- المترجم

(3) لم تكن الحكومة العثمانية ميالة الى مساعدة الشيعيين في العراق اعتقادا منها بميلهم الى الحكومة الايرانية الشيعية ولهذا حرموا ابناء الشيعة من الدخول في وظائف الدولة كما حرموهم ارتشاف مناهل العلم في المدارس الحكومية او قبولهم في الجندية إلا إذا كان هناك نفير عام واضطرار لقبول خدمتهم في الجيش، فلما أعلن الدستور العثماني في عام 1908 تغير الوضع وسمح للشيعة بتأسيس "مكتب الترقي الجعفري العثماني" أي "المدرسة الجعفرية الحالية " إذ تأسست في السنة المذكورة. ولهذا السبب لم ينجح أحد من الشيعة في أربع انتخابات نيابية جرت في العهد العثماني. – الحسني

(4) اي أنه لابد من انتخاب اثنين على الاقل من رجال العشائر عن كل لواء –المترجم

(5) تعني ولا ريب جلسة مجلس الوزراء – المترجم

(6) ليس بواضح من الاصل انه هل قام كل منهما على حدته بزيارة لها طويلة ام انهما زاراها معا أكثر من زيارة طويلة. وبعد التأمل، رأيت أن اترجمها هكذا مع التنبيه في هذه الحاشية – المترجم.

(7) سبق ان بينا ان اسم كوكس يلفظ بتسكين الكاف الثانية، وان العراقيين كانوا يلفظونه بفتحها والشريف حسين يلفظ – كوكس وموكس – بفتح الكاف الثانية هو أيضا- المترجم

هيت

في 3 كانون الثاني 1921(*)

كتبت إلى أبيها رسالة استهلتها بقولها إن كبار شيوخ عشائر الدليم، الذين يقيمون خلال الشتاء في الخيام ماعدا واحدا منهم هو (علي السليمان) الذي يقيم في دار له تقع خارج الرمادي قد اعتادوا قضاء الصيف في مساكن صيفية خارج مركز اللواء، وإن الواحد منها يدعى محراب.

وتقول المس بيل أن الواحد من هذه المساكن الشعبية يشبه ان يكون خيمة من طين. إنه غرفة طويلة ضيقة ذات جدران من اللبن جد رقيقة وليس لها نوافذ ولكن ثمة في الحائط الشمالي وفي مستوى رأس المرء إن كان جالسا على الأرض فتحات منتظمة النسق متساوية الفواصل، وكل فتحة منها هي في الواقع فراغ لبنة. ومن هذه الفتحات تمر ريح الشمال على الجالس رخية ناعمة وهناك فتحات مربعة في أعلى الحائط يخرج منها الهواء الحار ثم أن الطرف الشرقي من غرفة الرجال يترك مفتوحا وهو ينتهي بديوان ذي حائط واطئ محيطا به ولا سقف له وفيه يجلسون ليلا، أما غرفة النساء فمغلقة من كل جانب. وهي لذلك تكون أبرد من هذا الديوان نهارا.

وتقول المس بيل بعد ذلك أن بلدة هيت - بما فيها من آبار أو برك للقار - لا تشبهها بلدة أخرى في العراق. ثم تقول مشيرة فيما يبدو إلى سفرات لها سابقة مرت فيها بهيت قبل الحرب العالمية الاولى:

آبار القار في هيت

..."ولكن هيت زاخرة بالنسبة لي بذكريات سفرات مرحة، صاخبة بذكريات أشباح تتجول على ظهور الجمال وذلك من قبل أن يتشقق العالم الذي كان عالمي فيمتلئ بالماء ويغرق"

ثم تقول إنها تجولت عصرا هي ومن معها في المدينة وقضوا وقتا طويلا يشاهدون أحد آبار القار بعد أن أشعلوا فيه النار.

وهي تصف كيف كان الماء المحمل بالغاز يرتفع حاملا معه أفاع ملتوية من القار الأسود لا تلبث حتى تكون قشرة فوق سطح البركة. وكيف كان ثمة غلامان يسحبان هذه القشرة ببراعة ويلويانها ويكسرانها كما لو كانت قطعة من الحلوى - من التوفي أو الجكليت - ثم يرميانها إلى حيث حمار في انتظار حمله. وتقول المس بيل أن هذين الصبيين إنما يقومان بهذا العمل - الذي هو في نفسه جد عسير - بمثل هذه السهولة لأنهما توارثاه إبنا عن أب وأبا عن جد، منذ خمسة آلاف سنة.

ومن بعد ذلك تقول إن ماوراء هيت أرض لا سلطان لأحد عليها منذ انسحب الانكليز عنها، وأن العشائر هناك تنهب كل من يجتازها وأن مبعوثي مصطفى كمال يجوسون خلال هذه الفوضى.

والرسالة بالجملة مشوبة بمسحة من الحزن والقلق والتوجس.

هامش:

(*) نشرت في الأهالي عدد 646 في 6-2-1961

التعيينات الإدارية

في 22 كانون الثاني 1921*

كتبت إلى أبيها تقول أن طالب النقيب – وزير الداخلية – يقوم بمهامه على مايرام وأنه قد قدم إلى مجلس الورزاء منذ أيام قائمة طويلة بأسماء مرشحيه لمناصب المتصرفين والقائمقامين وأن من الضروري جدا تحقيق هذه التعيينات لأجل ان يشعر الناس بأن هناك حكومات عربية.

وتقول المس بيل بعد هذا أنها سارت في جنازة المس جونز رئيسة ممرضات الجيش البريطاني في العراق زمن الحرب الأولى وبعد أن تثني عليها وتشر إلى مالقيته من العطف والعناية على يديها حين كانت مريضة في البصرة، ثم بعد أن تذكر أن المس جونز قد شيعت باحتفال عسكري، نفخ خلاله في البوق نداء اليوم الأخير (1) وأطلقت البنادق نيرانها في الهواء، مضت تقول:

"ولقد تمنيت وأنا أسير وراء العلم البريطاني الذي كان يجلل تابوتها أن تكون الأفكار التي تجول في أذهان مشيعيي حين يسيرون وراء تابوتي شبيهة ولو أبعد الشبه بما كان يجول في خاطري عندئذ عنها".

هذا وقد توفيت الآنسة بيل أثناء نومها قبل الفجر من يوم الإثنين الموافق 12 تموز سنة 1926، ودفنت في بغداد، بناء على وصيتها باحتفال عسكري.

وفي التاريخ نفسه كتبت إلى أبيها تقول إنها قد حضرت بعد الغداء سباق الخيل للمرة الثانية ولم يكن في نيتها مشاهدة السباق أكثر من مرة لولا إلحاح من صديقة لها. وتذكر المس بيل أن المعتمد السامي – برسي كوكس – ذهب الى مشاهدة السباق منذ الساعة 11 صباحا.

ثم تشير الى إشاعات مفادها أن أعيان السنة في بغداد بدأوا ينظرون فيما إذا كان من مصلحتهم أن يكون للعراق أمير عثماني.

إن المس بيل في الواقع لا تفهم موقف الشعب العراقي من الإحتلال البريطاني شأنها شأن برسي كوكس سائر البريطانيين

(المسؤولين) يومئذ في العراق. إنها حين تتحدث عن الشيعة او السنة لا تعني سوى عدد ضئيل جدا من العائلات والأفراد المتنفذين. أما الملايين من أبناء الشعب فما كانوا ليخطروا لها فيما يبدو ببال.
وتقول المس بيل أن حكومة النقيب تنظر الآن في ملء عدد من الشواغر الإدارية، وأن السر برسي سيتدخل في هذه الترشيحات حين تصل إليه لأجل الموافقة عليها.

في 30 كانون الثاني 1921

كتبت إلى أبيها تقول أن هذا هو ثامن عيد ميلاد هي فيه بعيدة عن بلادها. ففي سنة 1913 كانت في شبه الجزيرة العربية، وفي 1914 كانت في بولون بفرنسا، وفي 1915 كانت في مصر، وفي 1916 كانت في البصرة، وكانت بعد ذلك حتى تاريخ رسالتها هذه في بغداد.

في 7 شباط 1921**

كتبت إلى أبيها تقول:
"مررنا بإسبوع عاصف، بسبب الخلافات التي احتدمت بين إثنين من مستشارينا، حول كيفية البت في مصير الليفي العرب، وهم ضرب من جندرمة، وقد أهاج المستشاران في هذا الصدد وزيريهما، إلى حد أن أصبحت المسألة مسألة ما إذا كان ساسون أفندي سيستقيل بعد أن أخذ المجلس قرارا عارض فيه رأيه، إذ وضع القوة المذكورة تحت تصرف وزارة الداخلية بدلا من وزارة الدفاع.
لقد كان هذا القرار قرارا خاطئا فيما أرى. ولكن لا أهمية لذلك. وإنما المهم أن توضع القوة تحت إشراف وزارة من الوزارات في الحال، لأننا نريد أن يأخذوا على عاتقهم بدلا منا أمر السيطرة على الفرات الأوسط حين نسحب قواتنا منه، بعد نحو اسبوعين.

وقد أقر المجلس عددا من التعيينات للمناصب الإدارية، مناصب متصرفين وقائمقامين وأغلب هذه التعيينات حسن وبعضها ردىء.. إن السر برسي ينزل عن رأيه حين يصر النقيب على رأيه هو. والسر برسي مصيب في ذلك تماما فيما أعتقد – إذ أن علينا ان نقعد ونتفرج بينما يرتكبون هم الأخطاء. إن هذه التعيينات مصدرها كلها وزارة الداخلية.

وفي 13 شباط كتبت إلى أبيها تقول:

"امتاز الإسبوع الفائت بعودة نحو عشرين من الذين كان السر هنري ولسن – وكيل المعتمد السامي- قد نفاهم إلى جزيرة هنجام، وفيهم أحد قادة التحريض والثورة في بغداد. ولكن في اليوم التالي لوصولهم ألقي القبض على إبن هذا الشخص- كما ألقي القبض على عدد من المحرضين – على حد تعبيرها – ممن لهم صلة بجريدة (الاستقلال)، صلة امتلاك لامتيازها أو تحرير فيها أو إيحاء لها. ثم تقول إن مسألة وقف الجريدة المذكورة عن الصدور موضوع بحث منذ حين، ولكن السر برسي – المعتمد السامي- كان يرى أن يجيء الإجراء من جانب وزارة الداخلية، ولقد اتخذ هذا الإجراء."

ثم تقول المس بيل أن الحكومة – حكومة النقيب – لا سيطرة لها على الألوية ولكنها بدأت توطد نفوذها فيها.

وتشير المس بيل بعد هذا إلى مسألة الإنتدابات التي كانت تنظر فيها – عصبة الأمم – وتقول إن من رأيها أن تعلن العصبة هذه الانتدابات وشروطها وأن تعلن الحكومة البريطانية بعد إعلانها، رفض قبول انتدابها (2) على العراق ومن شأن هذا الرفض أن يثير ضجة في العراق ويحدو بالعراقيين إلى المطالبة بالانتداب!

وقد قبل أحد الشيعة (3) أخيرا منصب وزير المعارف الذي أُستحِث النقيب على عرضه عليه.

تقول المس بيل:

"مسألة ملتهبة هي مسألة العفو العام. وأنا أرى أن وقت المضي في هذا الأمر قد حان أو أوشك. إن السلطات العسكرية ستعارض فيه معارضة مريرة. إني أريد أن يكون لنا فخر البدء في هذا الإجراء واتخاذ الخطوات في سبيله، لا أن نظهر بمظهر الراضخ لضغط

العرب. إننا لا نقوم بالأمور في حينها. إن السر برسي عازم عزما صارما على أن يفعل مايراه صوابا مهما كان عدد الذين سيحتجون من رجال الجيش لأنه – كما يقول وهو مصيب – إنه هو المسؤول"
ثم تقول المس بيل:
"والحدث الثاني في الإسبوع الفائت – الى جنب تعطيل جريدة الاستقلال – هو وصول مبعوث من ابن سعود – إن هذا المبعوث وهو أحمد ثنيان هو من أقارب الإمام – تعني ابن سعود، وقد كان مع إبنه فيصل في انكلترة سنة 1919 وقد نشأ في القسطنطينية، بل إنه ليشدو شيئا من الفرنسية. وهو اليوم رجل رقيق مريض، في نحو الثلاثين من عمره، ذو وجه نجدي مستطيل وسيم، ناطق بالذكاء، هذا إلى ان المرض قد زاده وسامة. وقد كان معه طبيب ابن سعود – عبد الله بن سعود – وهو رجل موصلي الأصل تعلم في القسطنطينية. وقد جاء الرجلان لأجل المباحثة في القضية التي لا تنتهي – قضية نزاع ابن سعود مع الشريف حسين – هذه القضية التي لاحل لها فيما أرى وإنما شأنها أن تعلق فقط، ولقد كان ضيفي على العشاء هذه الليلة. وكانت مأدبة العشاء هذه أجمل وأغرب مأدبة أقمتها في حياتي. لقد كان هناك بالإضافة الى النجديين المذكورين: الميجر إيدي والسيد محي الدين والسيد شكري الألوسي. والأخير عالم شيخ يشتمل على المعارف كلها كما يفهمها المسلمون وهو يدرس الحيليات – اي علم الميكانيك – مستعملا في تدريسه الحديث النبوي مصدرا له، ويدرس العلوم الاخرى على هذا النحو نفسه. ثم إنه وهو (الوهابي) المخلص لمذهبه – لايشرب (4) ولا يدخن وهو بعد المسلم المعروف الوحيد الذي لم يتزوج. لقد وجد في أواسط الجزيرة العربية في بلاد الوهابيين، أحلامه وإنه لينظر اليها على أنها المنبع الحق لكل إلهام وعلم.
وهو ما أن دخل ورأى أحمد ثنيان حتى عانقه بينما ذهب هذا يفتش في ثيابه الشمرية المطرزة الجميلة ثم أبرز منها رسالة من إبن سعود الى شكري.
وتتويجا لما اتسم به الاجتماع من الود الخالص اكتشف محي الدين في شكري إنه من معارفه في القسطنطينية، وهكذا بدأت المعانقات من جديد.."

وبعد هذا تصف الآنسة بيل حديث ضيوفها وهو يتضمن إعجاب السيد شكري بالوهابية، ثم تختمه بقولها إنها همست في أذن محي الدين بعد خروج الضيوف جميعا ما عداه: "مع هذا فإني لن أنضم الى (الإخوان) " فأجابها هامسا: "ولا أنا".

هوامش:

* نشرت في (الاهالي) عدد 646 في 6-2-1961

** نشرت ترجمة هذه الرسالة والرسالة التالية لها في (الاهالي) عدد 648 في 8-2-1961

(1) هذا اصطلاح عسكري بريطاني وهو ان ينفخ في البوق قبيل ساعة النوم – في الثكنة مثلا- نداء أول الى النوم ثم يطلق النداء الثاني والأخير - المترجم.

(2) فرض مجلس الحلفاء المنعقد في سان ريمو في 25 نيسان 1920 الإنتداب البريطاني على العراق وعلى فلسطين. والإنتداب الفرنسي على سورية ولبنان وكان من جملة مسوغات الثورة العراقية الكبرى في 30 حزيران من هذا العام مقاومة الإنتداب البريطاني الذي فرض على العراق.

نعم شرعت عصبة الامم في تدقيق أنظمة الإنتداب البريطاني والإنتداب الفرنسي في مفتتح عام 1921، فقامت الضجة في العراق على أساس أن الشعب العراقي يرفض الإنتداب ويريد استقلالا تاما لا أساس لكل هيمنة انتدابية عليه.

هذا من جهة ومن جهة اخرى فإن الملك فيصل لما استدعي إلى لندن وأفهم بفرض الإنتداب على العراق وأن عليه أن يؤلف دولة عربية تحت الإنتداب البريطاني وافق على ذلك، وعلى أن تعقد بين العراق وبريطانية معاهدة تصاغ فيها بنود الإنتداب دون أن تذكر لفظة الإنتداب فيها – الحسني.

(3) هو محمد مهدي آل بحر العلوم – المحققة.

(4) ليس في علمنا أن السيد شكري الألوسي كان وهابيا. إن من نسميهم وهابيين هم حنابلة. وعلى كل حال فما معنى قول المس بيل أنه لكونه كان وهابيا كان لايشرب ولا يدخن؟ هل السكر مباح للمسلمين من غير الوهابيين؟ - المترجم

المرشح للعرش

في 24 شباط 1921

كتبت المس بيل إلى أبيها وهي في طريقها إلى القاهرة لحضور مؤتمر القاهرة المعروف (1) الذي رأسه تشرشل والذي تقرر فيه نصب فيصل ملكا على العراق، تقول:

"وشاهد الإسبوع الماضي وصول عنصر جديد لأول مرة، وهو الضباط العراقيين الذين كانوا في سوريا وجعلوا الآن يعودون. وأول من وصل منهم نوري باشا السعيد (2) صهر جعفر العسكري، وقد قدم في الإسبوع الماضي.. وفي اليوم التالي لوصوله إتصل بي جعفر تليفونيا وسألني متى يستطيع نوري رؤية السر برسي كوكس فسألهما السر برسي المجيء حالا وأن يبقيا للغداء. وقد جاءا في الساعة 12 وجلسا ساعة معي ثم اتصلت بالكابتن كلايتن الذي عرف وأحب نوري في سوريا، وقد أتانا أيضا الميجر مري - وجرى بيننا جميعا حديث ذو خطورة. وأنا ما أن رأيته – تعني نوري السعيد- حتى أدركت أن أمامنا قوة كبيرة ومرنة علينا إما استعمالها وإما الإشتباك معها في نزال صعب.

وقد بدأنا ونحن نتحسس طريقنا بتوئدة ولطف، وقد أجاب عن أسئلتي بحذر شديد. ولما ألححت، أتخذ موقعه، وفي عبارات قليلة بيّن منهاجه وهو دعوة الجمعية التأسيسية لتقوم بأربع مهمات هي 1- تعيين مجلس وزراء. 2- إختيار حاكم العراق. 3- المصادقة على قانون يسمح بشكل من أشكال التجنيد الإجباري للجيش العربي. 4- تصميم علم وطني.

قلنا: طيب. وشرعنا في بحث النقاط بالتفصيل".

في 12 نيسان 1921

كتبت تقول أن فيصلا سيصل الى السويس في اليوم الثاني لتاريخ الرسالة وأن من المتوقع أن يبعث في غضون إسبوع أو عشرة أيام برقيات إلى مؤيديه يعلن فيها ترشيح نفسه للملكية وأن برسي كوكس سيكون في وسعه أثناء ذلك أن يعلن موقف الحكومة البريطانية في هذا الشأن بمزيد من الوضوح بعد أن تلقّى من تشرشل الإذن في ذلك، وكان جواب تشرشل معلقا على إستشارته حكومته بعد عودته من مؤتمر القاهرة الذي أقر تنصيب فيصل ملكا على العراق من حيث المبدأ.

من هذا يتبين للقارىء أن "الطبخة" قد أوشكت على النضج التام إذ لم يبق إلا أن يرسل تشرشل برقية يضمنها موافقة مجلس الوزراء البريطاني على المشروع.

ومعلوم أن عبد الله كان هو المرشح قبل فيصل، ومعلوم أيضا أن طالب النقيب – الذي اعتقله الإنكليز فيما بعد – كان يطمع في الملكية. ثم أن ساسون حسقيل نصح الإنكليز بعدم تعيين أحد من العراقيين ملكا أو أميرا على أساس إنه سيثير حسد عراقيين آخرين، فيخلقوا متاعب لا تنتهي للإنكليز.

وقد انتهى الأمر بهؤلاء إلى إختيار فيصل وإيثاره على كل أحد سواه.

في 17 نيسان 1921*

كتبت إلى أبيها هذه الرسالة وفيها – كالعادة – مقاطع محذوفة من الأصل المطبوع:

"كان ثمة إشاعة مفادها أنني وأنا في طريقي إلى البصرة اثناء سفري إلى القاهرة قد قلت لأشخاص – لاتسميهم الاشاعة – أن الغرض من المؤتمر إعلان فيصل ملكا.. ولم يكن ذلك صحيحا مطلقا ولكنه يعلم ولا ريب (3) أني كنت قبلا إذا ألح عليّ الناس ببيان رأيي في هذا الشأن كنت أجيب دوما بأن فيصلا هو فيما أرى خير من ينبغي اختياره وقد إعتبروني لذلك "شريفية" وما يهمني ذلك ولكني كنت حريصة دائما على أن اقول إن الاختيار إنما هو للشعب وحده وأنا الآن حريصة على أن احتفظ برأيي الشخصي لنفسي في الوقت الحاضر.

هذا وفي الوقت نفسه لاتزال البرقيات ترسل يوميا إلى ملك الحجاز في طلب أحد أبنائه (4).

إن وظائف الوزراء العراقيين سيقوم بها المستشارون البريطانيون ونحن لم نستلم بعد البرقية التي وعد المستر تشرشل بإرسالها بعد أن يشاور مجلس الوزراء ولذلك فليس في وسعنا أن نعلن موافقة حكومة صاحب الجلالة على ترشيح فيصل على أني رأيت ان من الضروري عدم تأخير إصدار بيان ما عن المؤتمر، وقد حملت السر برسي على إصدار مثل هذا البيان (5)، إنه لا يحتوي على شيء يتصل بالانتخابات ولكنه يذكر أن عفوا عاما سيعلن عما قريب جدا وقد رحب القوم بهذا التصريح ترحيبا حارا.

ولذلك فمن المتوقع أن تدخل الميدان قريبا جدا عوامل مهمة، أعني فيصلا نفسه باعتباره مرشحا وزعماء ثورة العام الماضي بعد العفو عنهم والجريدة الشريفية ووقف (suspension) الوزراء العراقيين عن العمل.

وبعد هذا تقول المس بيل إن موقف أهل البلاد من الإنكليز قد تحسن تحسنا عظيما وأن الناس متفقون على أن مهما حدث فلن يستطيعوا الإستغناء عن مساعدتهم وإرشادهم.

ثم تصف زيارة قامت بها في صباح اليوم الذي كتبت فيه رسالتها – وهو يوم أحد – لصديقها الحاج ناجي وتناولها طعام الإفطار معه.

بعد هذه الرسالة رسالتان غير مهمتين.

ثم في 5 آيار 1921**

كتبت تذكر أن "المتطرفين" في أنقرة قد أصبحت لهم اليد العليا ومعنى ذلك إن تحريضاتهم على حدود العراق الشمالية ستستمر ثم تقول إن أصدقاءها الشريفيين متطيرون فزعا لنشاط الأتراك عند الحدود المذكورة ولوجود عدد كبير من الموالين لهم في العراق مما قد يؤدي إلى عودة الأتراك ومن ثم القضاء على فكرة تأسيس دولة – عربية – في العراق أو تأخير تأسيسها إلى أجل غير مسمى.

وهنا تشير صاحبة الرسالة إلى أن المؤتمرين في القاهرة كانوا قد قرروا إسناد هؤلاء الذين تدعوهم الشريفيين وإلى أن فيصلا لم يغادر لسوء الحظ – على حد تعبيرها – مكة بعد، بينما كان المتوقع أن يكون في العراق في أواسط آيار وإلى أن تشرشل لم يدل بعد بتصريحه المنتظر في مجلس العموم.

ثم تقول أن برسي كوكس قد اقترح عقد معاهدة مع الدولة العربية ورفض الإنتداب وأنهم – أي الانكليز في العراق – كانوا يعلمون دائما إن مرشحهم للملكية سيطالب بعقد معاهدة (7) وبعد هذا تذكر إن العفو العام قد أعلن وأن أصدقاءها يعملون على تأليف حزب شريفي وأنهم قدموا إليها منهاجه.

ثم تصف حفلة مدرسة حضرتها هي والكابتن سميث وقد دامت الحفلة ثلاث ساعات وألقى فيها جميل صدقي الزهاوي قصيدة استغرق إلقاؤها خمسا وثلاثين دقيقة واستعيدت أكثر أبياتها على أنه قبل أن يلقيها عثر – وهو المصاب بشلل جزئي- وسقط من على المنصة.. ثم تقول صاحبة الرسالة:" وقد تلاه شاعر آخر منافس له

اسمه معروف (الرصافي) ويقال إنه من أكبر المتضلعين في علوم العربية" وقد أثنت على الشاعرين.

وفي صباح اليوم التالي حضرت عرضا عسكريا بمناسبة عيد ميلاد ملك بريطانيا وقد جرى العرض في الصحراء بمقربة من دارها وحضره "جميع وجهاء بغداد" على حد تعبيرها.

في 8 آيار 1921 ***

كتبت إلى أبيها تقول إن القنصلية الفارسية أقامت في يوم الجمعة من الإسبوع الفائت حفلة شاي كبرى بمنسبة عيد ميلاد الشاه. ثم تساءلت عن عدد أعياد الميلاد التي يستطيع الشاه الإحتفال بها وهو على عرشه!

وقالت أيضا إنها انطلقت على صهوة جوادها في صباح اليوم الذي تكتب فيه رسالتها – وهو يوم أحد – إلى الكرادة حيث تناولت طعام الإفطار على مائدة صديقها الحاج ناجي.

وبعد أن أشارت إلى أن شهر رمضان سيحل خلال الإسبوع الذي ابتدأ بتاريخ رسالتها قالت ما فحواه أن السياسة البريطانية في العراق تتصف بالتردد وإن الناس لايعرفون ما يريده الانكليز وماعقدوا العزم عليه فالسلطات الانكليزية تسجن المطالبين بعبد الله ملكا على العراق أولا ثم تشجعهم على المطالبة بأخيه فيصل.

وعلى حين أن المس بيل كانت قد ذكرت في رسالتها المؤرخة بالخامس من آيار أن العفو العام قد أعلن، عادت في رسالتها المؤرخة بالخامس عشر منه فقالت أن العفو لم يعلن بعد (8) وأن الذي أخر إعلانه اضطرار الإنكليز إلى مشاورة الحكومة الفرنسية ثم حكومة الهند في شأنه.

ثم ذكرت أن الانتخابات المنوي إجراؤها لم يصدر بشأنها بيان بعد لأن السلطات تريد أن تعرف أولا ماهي أجزاء كردستان العراقية

التي ستنضم إلى "الدولة العربية"، في العراق على أن هذه السلطات تأمل أن توافق أغلب تلك الأجزاء على ذلك وأن تعلن موافقتها في خلال الإسبوع.

وتتضمن الرسالة أيضا أن المتنفذين في البصرة قد وضعوا برنامجا للانتخابات ينتظم أكبر عدد من الآراء ووجهات النظر المختلفة السائدة هناك وأنها إطلعت على مسودة المنهاج – وإستحسنتها.

كما تتضمن الرسالة أن اجوبة "الشريف" حسين عن البرقيات الأولى التي طلب إليه فيها مرسلوها إرسال أحد أبنائه الى العراق قد بدأت تصل.

وفي رسالتها التالية للرسالة السابقة وتاريخها 22 آيار 1921 تقول إن ناجي السويدي قدم لها منهاجا لحزب شريفي - معتدل يراد تأسيسه وأنها أطلعت برسي كوكس عليه فاستحسنه.

وفي 29 آيار 1921

كتبت رسالة تقول فيها أنها ستذهب في نهاية الإسبوع إلى السليمانية حيث ستقضي بضعة أيام تتعرف خلالها على الشعور السائد هناك بصورة مباشرة والسبب في هذه الزيارة أن السليمانية أعلنت رفضها الإنضمام الى الحكومة الجديدة وذلك في استفتاء أجري هناك.

وتقول المس بيل أن السليمانية ستكون تابعة مؤقتا – إلى إدارة برسي كوكس مباشرة.

وفي رسالتها المؤرخة بـ 12 حزيران 1921 – وهي كرسالتها السابقة موجهة إلى أبيها – كتبت تقول أن الملك حسين قد أرسل أخيرا برقيات تتضمن توجه فيصل إلى العراق خلال الإسبوع ثم

تقول أن إصدقاءها الشريفيين لا يفتأون يزورونها طالبين التوجيه والإرشاد. وإن الشيخين فهد بك وعلي السلمان قد زاراها في صباح اليوم الذي أرسلت فيه رسالتها زيارة طويلة وأنهما قد أقبلا من الرمادي لمقابلة برسي كوكس بغية الإطلاع على موقفه ووجهات نظره.

وتتحدث المس بيل في رسالة لها تاريخها 19 حزيران 1921 عن الإستعدادات التي جرى اتخاذها خلال الإسبوع لاستقبال فيصل.

هوامش:

(*) نشرت الترجمة في الأهالي عدد 620 في 5 /1961/1

(**) نشرت ترجمة هذه الرسالة في الأهالي عدد 650 في 1961/2/1

(***) نشرت ترجمة الرسالة في الأهالي عدد 650 في 1 /1961/2

حضره عن العراق – على ماذكره السر برسي كوكس في مجمله التاريخي لقسم من الفترة التي كتبت المس بيل خلالها رسائلها العراقية، كل من: برسي كوكس وايلمر هالدين القائد العام للجيش البريطاني في العراق وساسون حسقيل وزير المالية وجعفر العسكري وزير الدفاع والميجر جنرال اتكنس مستشار وزارة الاشغال واللفتنانت كرنل س. سليتر المستشار المالي، والمس جرترود بيل السكرتيرة الشرقية للمعتمد البريطاني. وقد سافر هؤلاء جميعا بالباخرة هاردنج بعد أن قطعوا المسافة من بغداد إلى البصرة – كما يتضح من رسالة المس بيل – بزورق بخاري.

وقد ذكر برسي كوكس في مجمله التاريخي أن ونستن تشرشل كان قد نقل حديثا إلى وزارة المستعمرات من وزارة الحرب – وكان قبل ذلك وزيرا للبحرية – في الوقت الذي تقرر فيه نقل شؤون العراق ومصائره من وزارة الهند إلى وزارة المستعمرات فلأجل أن يتعرف على شؤون منطقة الشرق الأوسط بما يمكن من السرعة، قرر الدعوة إلى عقد مؤتمر عام في القاهرة في أوائل آذار. – المترجم

(1) على أن المس بيل سق أن قالت في رسالتها المؤرخة 24 تشرين الأول 1920 أن جعفر العسكري هو أول من وصل من سوريا من هؤلاء الضباط وهذا واضح من مضمون هذه الرسالة ورسائل أخرى، ولكن يبدو أن جعفر العسكري كان قد جاء وحده. أما الآن فقد بدأ هؤلاء الضباط وكذلك أعداد من المدنيين يعودون إلى العراق. وكان أولهم نوري السعيد. وإلى عودة هؤلاء العراقيين يشير برسي كوكس في مجمله التاريخي ويذكر أن من المسائل الأساسية التي ألتها وزارة النقيب اهتمامها هي إعادة المتغيبين من زعماء الثورة من جزيرة هنجام وإعادة الضباط العراقيين الذين خدموا في جيش الحجاز أو مع فيصل في سوريا، وعلى نفقة الحكومة. كما عاد غير هؤلاء – الذين خدموا في مناصب مدنية في العهد العثماني قد بدأوا يعودون إلى بلادهم – ويصبحون ميسرين، لذلك للخدمة في الحكومة العراقية. وهنا يقول برسي كوكس: إن مقدم هذه المفرزة من الضباط العراقيين من سوريا ومعظمهم من المنتمين لفيصل

هو الذي أدى إلى بدء المطالبة بتنصيبه ملكا على العراق أو إلى إحيائها.. هذا وقد وصل فيصل إلى البصرة في 23 حزيران سنة 1921

(2) نظرا إلى حذف عبارات قبل هذه العبارة فلا ندري عمن يتحدث – المترجم

(3) كانت هذه البرقيات تنظم من قبل الأشخاص الذين كانوا يعملون لصالح الأمير فيصل تحت إشراف الانكليز وتوجيههم – الحسني

(4) هذا هو نص البيان الذي نشير إليه المس بيل والذي أذيع بعد ثلاثة أيام من عودة الوفد العراقي من مؤتمر القاهرة وكان الوفد قد بلغ بغداد في 9 نيسان 1921:" كان السبب الأول الذي دعا إلى عقد المؤتمر، الذي التأم في القاهرة، رغبة وزير المملكة الجديد في الإجتماع بالممثلين البريطانيين في المناطق الواقعة ضمن دائرة مسؤوليته، كالمندوبين الساميين للعراق وفلسطين، وحاكمي عدن وبلاد الصومال وذلك لكي يطلع الوزير المذكور رأسا على مجرى الأمور في الأقطار المذكورة.

وأما مايختص بالعراق فكانت المسألة الموضوعة على بساط البحث ضرورة إنقاص المصروفات العسكرية إنقاصا كبيرا لكي تتمكن الحكومة البريطانية من القيام بأعباء المحافظة الوطنية ذاتها من أن تأخذ على عاتقها مسؤولية الدولة العربية التي ترمي الحكومة البريطانية إلى تأسيسها وتأييدها.

"وقد تمكن فخامة المدوب السامي، وجناب القائد العام من أن يقدموا إلى المؤتمر اقتراحات ترمي إلى اقتصاد بعضه عاجل وبعضه تدريجي، مما جعل وزيرالدولة شديد الآمال بأنها تأتي مرضية لآراء حكومة جلالة الملك، والرأي العام البريطاني والعربي، وفي الوقت ذاته فإن الاتفاق الذي توصل اليه قد أحل مسائل المحافظة على الأمن الداخلي وحماية الحدود والترتيبات المالية اللازمة لترقية الجيش العربي، محلها من الاعتبار، وسيصدر في وقت قريب عفو عام يشمل جميع الذين اشتركوا في الإضطرابات الأخيرة عدا بعض أفراد ارتكبوا جرائم فظيعة كقتل الكولونيل لجمن وما أشبه من الجرائم.

"وعند إنتهاء المؤتمر سافر وزير الدولة إلى فلسطين ومنها إلى انكلترا كي يقدم بذاته النتائج التي توصل إليها المؤتمر إلى مجلس الوزراء والأمل وطيد أن ترد في بضعة الايام الآتية برقية تنبيء بمصادقة مجلس الوزراء على تلك النتائج، وعندئذ يصدر فخامة المندوب بلاغا آخر" – الحسني – تاريخ الوزارات العراقية ج1ط2 ص28

(5) هو الحاج ناجي رئيس بلدية الكرادة الشرقية وأحد ملاكها وجد الأستاذ يوسف الحاج ناجي في البنك المركزي - الحسني

(6) هذا كلام هراء فإن فكرة عقد معاهدة بين العراق وبريطانيا تحل محل الإنتداب البريطاني المفروض على العراق كانت قد تقررت في لندن منذ كانون الأول 1920 يوم قصدها الأمير فيصل ورشح لعرش العراق – الحسني

(7) أعلن قرار العفو العام في 30 آيار 1921 - الحسني

وصول فيصل

في 23 حزيران 1921 (*)

كتبت إلى أبيها تقول:

"فيصل يصل البصرة اليوم، وأنصاره يتوقعون أن يكون مقدمه إيذانا بمظاهر ابتهاج شعبي عظيمة، ونحن نتمنى أن يكون الأمر نفسه. لا شك في أن أعيان البصرة المتنفذين ينظرون إلى الأمر بقلق (1). وفي يوم الاثنين جاءنا وفد قوي من البصرة ومعه عريضة يطلبون فيها معاملة منطقة البصرة معاملة مستقلة.

وقد بينوا أنهم على استعداد لقبول ملك مشترك ولكنهم يطلبون أن يكون للبصرة مجلس تشريعي مستقل وجيش وشرطة مستقلان وأن تفرض وتنفق ضرائبها الخاصة مع دفعها حصة مناسبة للإدارة المركزية. وقد جاءوا إلي في طريقهم إلى السر برسي، وسألوني تأييد طلبهم. فقلت: لا. إن كل ما تقرره حكومة صاحب الجلالة ـ البريطانية سيكون موضع تأييدي المخلص. باعتباري موظفة في الحكومة. ولكن إلى أن أبلغ ذلك القرار يجب أن أسير على رأيي الشخصي وهو أن ما يطلبونه ليس في صالح البلاد جملة ولن يكون في صالحهم هم بصورة دائمة. وعندئذ ذهبوا إلى السر برسي الذي أصغى إليهم بعطف وقال لهم بعبارات عامة أنه لا يكتم عنهم أن حكومة صاحب الجلالة تريد أن ترى عراقاً موحداً ومع ذلك فإن تمتع البصرة بدرجة كبيرة من الاستقلال الذاتي، المحلّي ينسجم مع تلك الغاية وينبغي النظر في حل وسط على هذا الأساس.

وبعد أن تشير المس بيل إلى موافقة مجلس الوزراء على منهج استقبال فيصل الذي أعدته لجنة الاستقبال، وتأخر موافقة برسي كوكس عليه، واهتمام اللجنة في الوقت نفسه بأن يوافق كوكس أيضاً

على اشتراك حرس شرف في الاستقبال، وقدوم نوري السعيد من البصرة وإعلامه إياها بمظاهرات التأييد في البصرة، وقدوم وفد كبير من وجهاء الموصل واعتقادهم- كما نقله إليها نوري السعيد- بضرورة إعلان فيصل ملكاً في الحال، وانشغال الجميع بالتهيوء لاستقباله. قالت:

"بلغني أن ناجي السويدي يفضل الانتداب على المعاهدة المقترحة. لأن الانتداب يتيح لنا سلطة أوسع، أما فيصل فأنا أعلم أنه يريد عقد معاهدة فمن المحتمل أن تتجه الأمور هذه الوجهة... أما أنا فالأمر عندي غير ذي بال، أننا لا نسير شؤون الانتداب بدون رضى الشعب، وإذا نحن ظفرنا برضاه فسيان أن يكون ثمة انتداب أو معاهدة.

ولكن الذي يبهجني أن يتحقق ما كنت أحلم به من أن نجلس نحن هادئين بينما يرتقون هم عتبات بابنا الأمامية ليلتمسوا منا أن نكون أكثر نشاطاً" (2).

إعلان (**)

إلى

كل المؤلفين والناشرين وأصحاب المكتبات

"تعتزم - مكتبة السلام (3) - إصدار نشرة دورية بالعربية والانكليزية تراجع فيها الكتب التي تنشر باللغات الشرقية كالعربية والفارسية والتركية والعبرية والسيريانية والهندستانية وكذلك الكتب المنشورة باللغات الأوروبية كالانكليزية والفرنسية والألمانية.

على أن الكتب التي ستنتظر فيها النشرة أنما هي تلك التي تهدى إلى المكتبة ويطلب ناشروها أو مؤلفوها التعليق عليها أو الإعلان عنها.

كما أن المكتبة ستحيط قراءها علماً بما عسى يلقى فيها أو في حوانيت بيع الكتب من المخطوطات... وبذلك ستكون هذه النشرة خير وسيلة لإطلاع الأوروبيين على المؤلفات الشرقية والشرقيين على المؤلفات الأوروبية فضلاً عن تيسيرها بذلك بيع تلك الكتب.

إن لجنة المكتبة مؤلفة من أعضاء عرب وبريطانيين وهم الذين سيقومون بتحرير هذه النشرة (4).

وقد أرسلت المس بيل نسخاً من هذا الإعلان إلى انكلترا مع كتاب موجه إلى الناشرين الانكليز للغرض نفسه.

في 30 حزيران 1921(***)

كتبت رسالة مسهبة تقع في نحو أربع صفحات، وسنوجز ما ليس بذي بال منها لأجل أن ننقل المهم مما تضمنته كاملاً.

تشير المس بيل أولاً إلى حفلة كبرى أقيمت تكريماً لفيصل في البصرة وألقى فيها خطاباً. وبعد أن تعرب عن إعجابها بهذا الخطاب تقول إنها كانت أرسلت إلى البصرة وكيلاً لينقل إليها شعور أهل البصرة عند استقبال فيصل وإنه قد أتاها يوم الاثنين فأطنب في وصف مدى التأثير الطيب الذي أحدثه ذلك الخطاب وكيف أنه- على حد تعبيرها- عطف جميع القلوب نحوه... ويحسن أن نذكر ها هنا أن المس بيل كانت متحمسة لفيصل كما أن برسي كوكس كان يؤثره على سواه من المرشحين للمنصب. وينبغي ألا يكون هذا شيئاً جديدا عند الذين تتبعوا هذه الرسائل.

ثم تقول صاحبة الرسالة أن ناجي السويدي ونوري السعيد زاراها في مساء اليوم نفسه وكان ناجي قد عاد من البصرة وهو مبتهج لما شاهده وهنا تقول المس بيل:

"وبعدئذ ذهبنا نتحدث عن الخطوات التالية، وقد اتفقنا على أن من غير الممكن أن ندعه- أي مرشحهم- هنا مدة 9 أو 8 أسابيع وهو لا يعرف شيئاً عن وضعه حتى تنتهي الانتخابات وأن من الضروري أن تعلن البلاد رأيها على نحو ما. وقد كنت أنا والسر برسي تباحثنا في ذلك ولكني لم أر من حقي أن أطلع صديقيّ- بتشديد الياء وفتحها- به فاكتفيت باعطائهما تأكيدات مطمئنة.. على أننا لا نريد أن يتولى فيصل الأمر عن طريق انقلاب- كوديتا- يقوم به المتطرفون (5) وإنما نريد أن يكون الأمر أكثر دستورية من ذلك...

وقد كان المنظور أن يصل فيصل في الساعة 7 من صباح يوم الأربعاء. وقد توجهت بالسيارة أنا والكولونيل جويس إلى المحطة خلال الشارع الكبير- تعني ما ندعوه اليوم بشارع الرشيد حتى الجسر الأعلى- وقد كانت المدينة كلها مزينة بمختلف الزينات، من أقواس نصر وأعلام عربية، وما إلى ذلك. وكانت مزدحمة بالناس في الشوارع، وعلى سطوح المنازل وفي كل مكان... وكانت المحطة مكتظة بالجماهير. ولقد رصفت فيها المقاعد للأعيان وكانت كلها مشغولة منهم.. وكان هناك السر برسي والسر ايلمر وحرس شرف..".

وهنا تقول صاحبة الرسالة أنهم استلموا عندئذ برقية تفيد أن عطلا قد حصل في الخط الحديدي، وأن صاحبهم قادم إلى بغداد بالسيارة وأن في مرجوه الوصول في الساعة المحددة. بيد أن الساعة السابعة مرت وتلتها الثامنة وهو بعد لم يصل. وأخيراً علموا أنه عاد فركب القطار وأنه سيصل عند الظهيرة.. ,نظراً إلى أن القيام باستقبال كبير في مثل هذه الساعة في نهاية حزيران لم يكن أمراً ممكناً فقد سأل برسي كوكس فيصلاً أن يظل في القطار نهاره وأن يتحرك في الساعة 6 مساء وعلى هذا قفل المستقبلون راجعين إلى بيوتهم...".

وقد رجعت هي إلى مكتبها حيث وافاها فيه نوري السعيد ثم صديقها الحاج ناجي.

وبهذه المناسبة تذكر أن الحاج أو كما تسميه- حجي ناجي- هو - كما يبدو من صورة له معها منشورة في الكتاب- رجل يرتدي الملابس الأهلية من يشماغ وعقال وصاية، وكان قد رغب إليها في أن يذهب إلى البصرة ليشترك في استقبال فيصل، وفي أن تضمن عدم ضياعه في الزحام فزودته بكتاب توصيه إلى كونواليس الذي كان قادماً مع فيصل.

وهنا تقول المس بيل أن "سيدي فيصل"- وهي ترسم سيدي بالأحرف اللاتينية بكسر السين- وقف عند وصول القطار في باب عربته بثيابه العربية الفاخرة يحي حرس الشرف... وقد تقدم إليه السر برسي والسر ايلمر قائد الجيش البريطاني في العراق ـ فحياه تحية رسمية جميلة صفق لها الناس... ثم فتش المرشح حرس الشرف. ومن بعد ذلك قدم السر برسي إليه أعيان بغداد وممثلي النقيب ألخ.. وقد اختفت الآنسة بيل وراء كورنواليس ولكن المرشح لمحها، فاتجه نحوها وصافحها.

ومضت تقول (****):

"لقد كانت تبدو عليه علائم الانفعال والقلق، ولا غرو، فالمرشح للعرش الموضوع تحت التجربة لا بد حالته النفسية تلك أضفت على مهابته الشخصية مزيداً من السحر الإنساني..

وقد ضاع بعد ذلك في الحشد وبقينا أنا والكرنل جويس نتحدث إلى كورنوالس.. وقد كان المسكين- تعني كونوالس- من الظمأ بحيث أن الكلام كان يستعصي عليه. بيد أن الذي استفدناه من جملة ما قاله هو أن الأمور لم تجر على ما يرام وأن الناس كانوا يتراجعون.

وقد كان الذي تسامع به القوم (6) طوال الطريق أن المعتمد السامي محايد وأن –الخاتون- والمستر غاربيت يريدان فيصلا وأن المستر فلبي يريد أن يكون العراق جمهورية. ومن الطبيعي أن يلتاث الأمر على فيصل: فهل المعتمد السامي معه وإذا كان معه فلم يتخذ موظفوه موقفاً مغايراً لموقفه؟

ومما زاد في حيرته ما قيل له وتكرر على سمعه من أن هؤلاء الموظفين لو رفعوا اصبعاً لتبعهم الناس.. فلم لم يرفع ذلك الاصبع لو كانت تلك هي السياسة الرسمية؟

لقد أوضحنا كل حدث بما في ذلك تأخر صدور البيان المنتظر (7)، وأوضحنا أن السر برسي عازم عزماً مطلقاً على المضي في تحقيق هذا الأمر..- وبعد هذا كلام محذوف- .

"وفي طريقي إلى الديوان صباح هذا اليوم عرجت على السراي وأعطيت مرافق فيصل بطاقتي. فقال: هل لي أن انتظر لحظة، فإن الأمير يرغب في رؤيتي. وكانت الساعة بعيد السابعة، وهي ساعة قد تعد مبكرة بالنسبة للزيارات الصباحية.

ولقد انتظرت وأخذت أتحدث إلى المرافق ثم أرسل فيصل في طلبي.. فذهبوا بي إلى غرفة كبيرة، وأقبل فيصل- بارديته الطويلة البيض- بخطى سريعة ثم امسك بكلتا يدي وقال: "ما كنت أحسب أن في الممكن أن تقدمي إليّ كل هذه المساعدة".

ثم جلسنا على أريكة.. وقد أكدت له أن السر برسي منحاز إليه انحيازاً مطلقاً.

وجاء كورنوالس بعد هذا إلى مكتبي في الديوان فقلت له إني قد زرت اليوم فيصلا. فقال- وأنا إنما انقل إليك كلامه لأني ارتحت له جداً- "حسناً فعلت.. لقد كان طوال الطريق لا يسمع غير الإطراء لك، وقد عهد إلي في رسالة أبلغها عنه إليك فيما إذا لم يستطع رؤيتك اليوم. وهي أنه ممتن لك جداً ثم أن وكيلي الخاص- وهو الرجل الذي أرسلته إلى البصرة- قد أخبرني أن القوم هناك لا يفتأون يقولون (هل الخاتون راضية؟)".

ثم تشير صاحبة الرسالة إلى مأدبة أقيمت في حدائق أوتيل مود. وقد تحدث المرشح للعرش قليلاً مع السر ايلمر بالفرنسية، ولكن أكثر الحديث كان يدور بينه وبين برسي كوكس والمس بيل وعبد المجيد الشاوي رئيس البلدية.

وتقول صاحبة الرسالة أن المرشح كان مسروراً وكذلك كانت هي والسر برسي.. ثم نهض "شاعرنا العظيم"- على حد تعبيرها- جميل صدقي الزهاوي فألقى قصيدة هائلة.. أشار فيها إلى فيصل على أنه ملك العراق.. وتلاه رجل من الشيعة ذو أردية بيض وعباءة سوداء وعمامة سوداء كبيرة فأنشد قصيدة لم تفهم منها الآنسة حرفاً ولكنها أعجبت بطريقته في الإلقاء.

وهنا تقول:

"على أن الأمور ليست كلها بعد هينة لينة.. فقد وصلتنا تقارير تفيد أن عشائر الفرات تقوم بكتابة عرائض تطالب فيها بالجمهورية، وأن مجتهدي الشيعة هم بأجمعهم ضد فيصل (8) وأنا لا أصدق نصف هذه التقارير بيد أنها تجعل المرء في قلق مستمر.. وقد أرسلت اليوم في طلب أحد كبار شيوخ الفرات- وهنا كلام محذوف-وهو "شريفي" شديد التأييد لفيصل وقد تباحثنا في الموضوع من شتى نواحيه. وكان عندي قبله جماعة من البغداديين ذوي النفوذ وقد ذهب هؤلاء يقولون أن علينا أن ننهي هذا الأمر دون أن ننتظر الانتخابات وأن نعلن فيصل ملكاً على نحو من الأنحاء. وقد طلبت إليهم أن يراجعوا في ذلك فيصلاً نفسه. وأنا عالمة بأنه قد تباحث هو والسر برسي في الموضوع - وسألتهم أن يأخذوا الأوامر منه..

وبعد الظهر أرسل فيصل علي وأطلعني على آرائه في ذلك وكانت جد سليمة ثم أني ألقيت إليه ببضعة اقتراحات ليعرضها على السر برسي.. وبعد ذلك ذهب لرؤية السر برسي.".

الهوامش:

(*) نشرت ترجمة الرسالة في الأهالي عدد 620 في 1961/1/5.

(**) نشرت الترجمة في الأهالي عدد 654 ففي 1961/2/15

(***) نشرت الترجمة في الأهالي عدد 654 في 1961/2/15.

(****) نشرت تكملة الرسالة في الأهالي عدد 856 في 1961/2/20.

(1) ما كان مؤتمر القاهرة الذي قرر مصير الحكم في العراق ينهي جلساته في آذار 1921 ويذيع مقرراته، حتى شرع لفيف من وجهاء البصرة بينهم الحاج طه السلمان وعبد الرزاق النعمة وعلي الزهير والحاج عبد السيد العويد والشيخ الباشي السعد وأحمد الصانع وعبد اللطيف المنديل وغيرهم في تنظيم مضبطة إلى المندوب السامي البريطاني في العراق يطلبون فيها أن يكون للبصرة حكم ذاتي ومجلس تشريعي خاص مع جيش وإدارة وشرطة فتصدى لمعارضة هذا الطلب كل من السادة: محمد أمين باش أعيان، وعبد الكاظم الشمخاني، وحبيب الملاك، ومحمد زكي وعمر فوزي وعبد العزيز المطير والحاج أحمد حمدي الملا حسين وغيرهم، وكانت النتيجة أن المضبطة أهملت من قبل المندوب السامي لمخالفتها مقررات حكومته. وقد بعثت هذه الفكرة من مرقدها سنة 1922 على أثر استقالة السادة: ناجي السويدي وحنا خياط والحاج رمزي وعبد اللطيف المنديل، من وزارة النقيب في أواخر آذار 1922 إثر اختلافهم مع زملائهم في موضوع الدفاع عن الحدود العراقية- النجدية، وهذه صورة العريض كما نشرت في ص 77 من الجزء الأول من كتابي تاريخ الوزارات العراقية ط3 – الحسني.

نص عريضة الانفصال

"إلى صاحب الفخامة السر برسي كوكس حامل لوسام إمبراطورية الهند من درجة قائد عظيم، ووسام القديسين ميخائيل وجورج من درجة فارس، ووسام نجمة الهند من درجة فارس، المندوب السامي لأراضي العراق المحتلة.

يا صاحب الفخامة؛

1- نحن الموقعين أدناه بالنيابة عن فئة الأغلبية الراجحة من أهالي مقاطعة البصرة نرجو بكل خضوع عرض آرائنا الآتية على حكومة جلالة الملك فيما يتعلق بمستقبل مقاطعة البصرة ونوع الحكومة الخاص بها، والتي نرجو من حكومة جلالته أن تسمح بتأسيسها.

2- غير خاف على حكومة جلالة الملك أن احتلال الجيوش البريطانية للبصرة عام 1914 قد قوبل من أهالي البصرة بمزيد الترحيب، ولم يكن إذ

ذلك من حاجة إلى التأكيدات التي صرح بها فخامة نائب الملك في الهند يوم 6 فبروري سنة 1915 لإقناعهم بأن مصالحهم ستكون موضع العناية الخاصة من حكومة جلالته.

3- غير خاف أيضاً أنه منذ اليوم الأول للاحتلال قد سلك أهالي البصرة مسلكاً سلمياً مطابقاً للقوانين كما أنه قبلوا بمزيد الارتياح نوع الحكومة التي أسست والقوانين التي سنت للبلاد.

4- ولا يخفي أنه في خلال الاضطرابات التي حدثت في العام الغابر ولم يحدث في البصرة ما يعرقل سيرة الحكومة المحلية او حكومة جلالته أو ما يسبب قلقاً لها من السلوك المغاير للقوانين أو نشر الدعوة العدائية ضدهما بل بالعكس كانت هذه الاضطرابات موضع السخط من أهالي البصرة الذين تجنبوا ولا يزالون يتباعدون عن كل حركة من شأنها إرغام الجيوش البريطانية على الانسحاب، ورفع الوصاية من البلاد. وهنا نرجو أن نلفت أنظاركم إلى قرار مجلس إشراف البصرة بهذا الشأن.

5- في حين أن أهالي البصرة يقدرون أو بالأحرى يستحسنون مبادئ تقرير مصير بلادهم بأنفسهم، تلك المبادئ التي على وشك أن تنشيء حكومة عربية في البلاد المحتلة، يلتمسون من حكومة جلالته تطبيق هذه المبادئ بالدقة على مقاطعة البصرة، وأن تكفل لها إدارة ممتازة.

6- ومن المعلوم جيداً أن الميزات الخاصة بالبصرة كانت سبباً في تباينها منذ أعوام عديدة عن الأراضي العراقية الواقعة شمالها وهي التي سيطلق عليها فيما بعد اسم العراق إلى هذه الاعتبارات ـ ولما كانت البصرة بحسب موقعها الطبيعي ثغراً تتبادل فيه التجارة الدولية لذلك أمها منذ أعوام عديدة عدد ليس بالقليل من أبناء الغرب وغيرهم من الأجانب ولا يزال عددهم ينمو نمواً متوالياً، والمرجح أن يزداد ازدياداً عظيماً جداً في المستقبل القريب وقد كان من دوام الاختلاط بالشعوب الأجنبية تأثير على أهل البصرة ذهب بهم إلى الاعتقاد بأن تقدمهم سيكون مخالفاً في نوعه وسرعته لتقدم العراق.

7- ومع علمنا بذلك فالراسخ في الأذهان هنا هو أن أهالي البصرة لكونهم فئة الأقلية بين سكان العراق ستكون بحكم الاضطرار حركاتهم بنفس النسبة وفي ذات الاتجاه كباقي أهالي العراق وبطبيعة الحال يرون وارداتهم تصرف على المشاريع التي لا يستفيدون منها شيئا بحيث يصيبهم حيف عظيم وليس من منجد أو حول على منعه.

8- وبهذه المناسبة نلتمس بخضوع أن نصور لكم موقع البصرة وما فيه من وجوه الشبه بينه وبين موقع البلاد التابعة لبريطانية العظمى والمتمتعة بالحكم الذاتي فإن تلك البلاد لبعدها عن مركز الحكومة الرئيسي، ووجود الاتحاد في المقاصد السياسية بين سكانها قد سلم بمالها من المطالب الحقيقية في التمتع بحياة سياسية مستقلة إذ بهذه الكيفية وحدها نالت شؤونها ما افتقرت إليه من الاهتمام اللازم.

9- ويستفز أهالي البصرة حكومة جلالته أن تنظر في نقطة جدالهم وهي أنه اذا استاء فريق من أهالي العراق وكانت آراؤه السياسية مختلف عن سائر أهله وسالكاً في تقدمه مسلكاً مغايراً لباقي أهل العراق فإذا ما أجبر هذا الفريق على الخضوع لأي شكل حكومة حيث لا تكون مصالحه مضمونة ينتج من ذلك نفور يقف في سبيل تقدم جميع طبقات الأمة العراقية.

10- ولا يرغب أهالي البصرة في شيء غير الخير لأهالي العراق، ولا شيء أحب إليهم من أن يسيروا وإياهم جنباً على جنب على أسلوب تعود الفائدة على الفريقين وعلى العالم عموماً، ولكنهم يعتقدون بأنه لا يمكن الوصول إلى هذه النتيجة إلا بمنح البصرة استقلالا سياسياً منفصلاً.

11- وعليه نتشرف بعرض المشروع الآتي على فخامتكم للتفضل بتبليغه إلى حكومة جلالته ألا وهو إنشاء إدارة سياسية مستقلة لمقاطعة البصرة ولو أننا بالطبع لا نعتبر هذا المشروع تاماً أو غير قابل للتعديل مع الإسهاب.

12- ورجاؤنا هو أن تصير مقاطعة البصرة مقاطعة منفصلة تحت إشراف أمير العراق أو أي حاكم ينتخبه أهالي العراق وتكون هذه الرابطة بين البصرة والعراق وحدة يطلق عليها اسم ولايتي البصرة والعراق المتحدتين.

13- ويكون للبصرة مجلس تشريعي منتخب خاص بها ويكون لهذا المجلس السلطة التامة في التشريع المختص بالشؤون المحلية المحضة، ولحاكم الولايتين المتحدتين الحق في رفض أو طلب تعديل أي تشريع يمس بمصالح أهل العراق.

14- كل قانون مشترك بين الولايتين كقانون تسليم المجرمين الفارين تأييد الأوامر التنفيذية وتبليغ الإعلانات، وتنفيذ الاحكام، ومهاجرة الأعداء، والجنسية والتجنس يجب سنه أو تعديله حسبما تقتضيه الظروف بمعرفة مجلس مشترك مؤلف من عدد متساو من نواب كلتا الولايتين، وفي حالة اختلاف الآراء اختلافاً كليا بين الفريقين يعرض الموضوع على ممثل حكومة جلالة الملك للبت فيه.

15- وتعين بريطانيا العظمى بمالها من حقوق الانتداب شكل حكومة البصرة وحاكمها ويعين حاكم ولاية البصرة رؤساء الدوائر فيها. أما حاكم ولاية

البصرة فيعينه حاكم الولايتين المتحدتين من بين ثلاثة أفراد ينتخبهم مجلس البصرة.

16- وتؤسس الولايتان نظاماً مشتركاً للطرق وللسكك الحديدة والبريد والبرق وطرق الملاحة الداخلية. وتشترك الولايتان بنفقات هذه المشروعات، وعمل المجلس المشترك المذكور آنفاً أن يقرر ما يجب أن تتحمله كل من الولايتين من النفقات، وما يصيب كل منها من الواردات.

17- ويكون للولايتين علم مشترك يرمز إلى اتحادهما وتشترك الولايتان في تعيين نوابها السياسيين في الخارج، ويعهد إليهم برعاية مصالح الولايتين معاً، وتكون الطوابع والنقود والأوراق المالية والضمانات الأميرية الأخرى ووحدة المقاييس والموازين مشتركة فيما بينهما، ويقرر المجلس المشترك المذكور آنفاً قيمتها وعبارتها.

18- ويكون للمجلس التشريعي السلطة المطلقة في وضع الضرائب على المحاصيل والعقارات المحلية البحتة، وأيضاً على السكان المقيمين بالولاية وتدفع الواردات المحصلة من هذه المصادر إلى خزينة الولاية، وتستعمل تلك الاموال حسبما يقرره المجلس التشريعي.

19- وتوزع أموال الرسوم الجمركية المحصلة في ميناء البصرة على الولايتين بالنسبة التي يقررها المجلس المشترك.

20- ويكون للبصرة قوة من رجال الشرطة وجيش خاص بها، ويشترك جيش البصرة مع جيش العراق في دفع الغارات الخارجية عن أي قسم من أقسام الولايتين المتحدتين، وتدفع البصرة سنوياً مقداراً نسبياً محدوداً لإعالة جيش حكومة العراق، ويكون هذا الجيش تحت امرة حاكم الولايتين المتحدتين.

21- وتدفع البصرة اعانة لائقة للقيام بنفقات ديوان حاكم الولايتين المتحدتين.

22- وفي الختام نرجو بكل خضوع إيداع رأينا بسرعة لزوم منح البصرة استقلالاً سياسياً على الفور، ونحن نعلم أن الغرض من الوصاية هو إعداد أهالي العراق للحكم الذاتي التام، وإنه من الممكن ان يطلب أهالي العراق انتهاء مدة هذه الوصاية في حين قد لا يعتبره أهل البصرة في أوانه وقد يمكن أن لا يكون في ذلك الحين وفاق بين أهل البصرة خلافاً لما هم عليه الآن من الوفاق التام الأمر الذي نذكره عن ثقة.

23- ونلتمس من فخامتكم أن تعربوا إلى حكومة جلالة الملك عن طاعة أهل البصرة وولائهم لها، وأن أملهم وطيد بتأسيس حكومة مناسبة لهم رعاية لمصالحهم وضماناً لتقدمهم.

البصرة في 13 جون سنة 1921 لنا الشرف أن نكون خدامكم المطيعين.

(2) لما أراد نابليون بونابرت أن ينفذ إلى الهند ليقضي على النفوذ البريطاني في الشرق بعد أن عجز عنه في الغرب، فأخفق فيما أراد، تمكنت الحكومة البريطانية أن تقبض عليه وتعتقله في جزيرة "سانت هيلانة" حتى مات فيها عام 1821. ثم انصرفت إلى امتلاك السبل المؤدية إلى الهند متدرعة بالدبلوماسية الهادئة تارة وبالقوة الغاشمة تارة أخرى فسيطرت على "جبل طارق" في عام 1704 وعلى "مالطة" في عام 1814 وعلى "قبرص" في عام 1878 وعلى مصر في عام 1882 وعلى عدن في عام 1839، وعلى بقية السواحل العربية والجزر القريبة منها. وبذلك صانت الهند من أي تعرض خارجي. فلما اندلعت الحرب العالمية الأولى سنة 1914 سارعت القوات البريطانية إلى احتلال العراق بعد معارك دامية وما لبثت أن اتفقت مع الحسين بن علي شريف مكة المكرمة على ثورة العرب ضد الإمبراطورية العثمانية لانتزاع البلدان العربية من الحكم العثماني بعد أن وعدته باستقلال هذه البلدان استقلالاً ناجزاً. فلما أسفرت الحرب المذكورة عن اندحار العثمانيين وفوز البريطانيين حلفائهم، تنكر هؤلاء البريطانيون للعرب فجزأوا بلادهم إلى دويلات ووضعوها تحت انتدابات مضللة. فقد قرر مجلس الحلفاء الأعلى المنعقد في "سان ريمو" في 25 نيسان 1920 فرض الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين والانتداب الفرنسي على سورية ولبنان، وكانت القوات العربية التي تحالفت مع البريطانيين واتباعهم قد دخلت دمشق الشام في تشرين الأول 1918 وما لبث الزعماء العرب أن نادوا بالأمير فيصل ملكاً على سورية وبأخيه الأمير عبد الله ملكاً على العراق فتنكر الانكليز والفرنسيون لهذه الخطوة الجريئة وما لبثت القوات الفرنسية أن زحفت على دمشق وقوضت الحكم العربي في 24 تموز 1920، واضطرت فيصل إلى النزوح إلى أوربا.

وكان العراق يموج بثورة عارمة في تلك الشهور ويطالب سلطات الاحتلال البريطانية باستقلال البلاد، وإذا بالانكليز يتجهون إلى فيصل مطمئنين إلى أن خيبته في سورية ضمان لاتئاده في سياسته وحذره من الاندفاع إلى التصادم معهم. وفي 2 كانون الأول 1920 وصل الأمير إلى لندن وتم الاتفاق بينه وبين الجبهة البريطانية على أن يوسد عرش العراق فيؤلف فيه حكومة عربية تحت

الانتداب البريطاني وفقاً لقرار سان ريمو المؤرخ 25 نيسان من هذه السنة. وحيث أن العراقيين لا يستسيغون الهيمنة الانتدابية فقد وعدوه بعقد معاهدة تحالف تصاغ فيها بنود الانتداب دون أن يذكر فيها اسم "الانتداب" فترضي العراقيين من جهة وتجعل عصبة الأمم تعتقد بأن بريطانيا ما تزال عند تعهداتها الانتدابية من جهة أخرى ـ الحسني"..

(3) كانت المس بيل قد ذكرت في رسالتها المؤرخة في 23 حزيران بأنها قد انتخبت رئيسة لمكتبة بغداد العامة ـ المحققة.

(4) هي مجلة الخزانة التي صدرت في عام 1923 ولم يصدر منها غير أربعة أعداد وكان صدور العدد الأول في كانون الثاني 1923 – الحسني.

(5) تعني الكاتبة بالمتطرفين هنا "الشريفيين" المتحمسين لفيصل. ولكنها في مواضع أخرى تعني بهم "الوطنيين" حقاً أي المطالبين بجلاء الإنكليز.

(6) الظاهر أن الإشارة إلى فيصل وأصحابه ـ المترجم.

(7) أي بيان المستر تشرشل وزير المستعمرات بموافقة بريطانيا على ترشيح فيصل نفسه ملكاً على العراق- المترجم.

(8) نشأت فكرة تفضيل نظام الحكم الجمهوري للعراق بدلاً من نظام الحكم الملكي بين لفيف من الموظفين البريطانيين المستخدمين في العراق وعلى رأسهم المستر فلبي "المستشرق البريطاني المشهور الذي أسلم وسمي نفسه عبد الله فلبي" وراح هذا يتصل ببعض العراقيين البارزين ويشجعهم على الترويج للنظام الجمهوري فكان ممن وقع في شراكه السيد محمود الكيلاني كبير أنجال السيد عبد الرحمن النقيب وفخري الجميل وعبد المجيد الشاوي والشيخ سالم الحيون رئيس بني أسد بلواء المنتفك، وتوفيق الخالدي والد الأستاذ عوني الخالدي. وقد اخمدت هذه الفكرة كل الإخماد بحمل المستر فلبي على ترك منصبه كمستشار في وزارة الداخلية والخروج من العراق بصورة نهائية أما الشيعيون فإنهم كانوا يرحبون بترشيح الأمير فيصل لعرش العراق ترحيباً قلبياً بصفة كونه أحد أفراد بيت النبوة، وأما المتقاعدون والموظفون السابقون فإنهم كانوا يتوقعون عودة العثمانيين إلى العراق ولهذا كانوا يروجون لأحد أفراد السلالة العثمانية.

لقد أخمدت فكرة الجمهورية بصورة نهائية على أثر تصريح الحكومة البريطانية بأن العراق لم يبلغ من الرقي درجة تمكنه من ممارسة النظام الجمهوري. لكنها ظهرت في مناسبتين: الأولى في عام 1924 حيث قتل بها وزير الداخلية توفيق الخالدي، والثانية في عام 1931 حيث اشتدت المعارضة

لوزارة نوري السعيد الأولى ولالتزام الملك فيصل هذه الوزارة بصورة عظيمة-
الحسني.

الاستفتاء

في 7 تموز 1921(*)

كتبت إلى أبيها تقول:

"حصلت معي في صباح يوم الاثنين مقابلة دقيقة، فقد جاءني كبير الطائفة المسيحية ومعه متصرف بغداد وناجي السويدي فقالوا إنه ليس في وسعنا- وقد قدم فيصل- أن ننتظر حتى تجري الانتخابات، بل يحسن وضعه على العرش عن طريق استفتاء.. وقد كنا جميعاً مدركين لهذا بل إن فيصلاً كان تحدث فيه عند رؤيتي له يوم السبت، على أنه أضاف أن الشيء الوحيد الذي يخشاه إنما هو ارتقاؤه العرش عن طريق انقلاب- كوديتا- وأن من الضروري أن نستمر على جعل الإجراءات دستورية بقدر الإمكان...- وهنا كلام محذوف -... ومن أجل ذلك قابل السر برسي النقيب وقد اتفقنا على ان ينظر المجلس في موعد إجراء الانتخابات، إذ كان من الواضح أن هناك حاجة ملحة إلى بلوغ نتيجة... وكان السر برسي قد تحقق من أن تسجيل الناخبين لا سبيل إليه في أقل من شهرين... وكانت الصحف المحلية قد بدأت تتحدث عن إجراء استفتاء من دون أن يوحي لها بذلك..

إني أقرأ الصحف المحلية الأربع كل صباح فإذا وجدت فيها شيئاً غير مناسب أبلغت المسؤولين عن تحريرها، ذلك إما مباشرة أو غير مباشر.. وفي هذا اليوم اتبعت الطريقة المباشرة. فقد نشر أحد المتحمسين مقالاً هاجم فيه ملك الفرنسيين في سوريا هجوماً عنيفاً. فأرسلت عليه وأثبتّ له- على نحو أقنعه وأرضاه- أن من الخير لهم - تعني -العراقيين- أن يتركوا للسوريين أمر حل مشاكلهم بأنفسهم..

والذي يسعفنا في هذا الأمر كله أن شخصية فيصل تبلغنا ثلاثة أرباع الطريق إليه... إنه ما انفك يجمع حوله الأنصار وأغلب هؤلاء يجيئون إلي لأربت على اكتافهم، وهو فن قد أصبحت بارعة كل البراعة فيه..".

وبعد ذلك تقول المس بيل أن المترددين من هؤلاء يرتاحون كل الارتياح لمجرد أن تخبرهم بأن فيصلاً وبرسي كوكس يعملان يدا بيد – ومن المثير للإنتباه مقدار الرضا الذي يشعرون به حين يعلمون أن السر برسي موافق. تقول أن له سيطرة مدهشة على البلاد.

وأن أغلب المدن قد أرسلت وفوداً لتحية المرشح للعرش، وأن زعماء الثورة قد أخذوا يفدون إلى بغداد، الواحد بعد الآخر لتقديم احتراماتهم، وإنها هي والسر برسي يعمدان إلى تأديب بعضهم بقارص الكلام..

ووصفت المس بيل في رسالتها المؤرخة 8 تموز 1921 حفلة عشاء أقامها السيد عبد الرحمن النقيب- رئيس الوزراء- في مساء اليوم لفيصل وذلك في داره المواجهة لجامع الكيلاني.. وكان الضيوف الانكليز هم السر برسي كوكس وكبار موظفي دار الاعتماد وهي منهم. أما الباقون فمنهم الوزراء ووجهاء بغداد. وقد كانت الشوارع التي مر بها موكب الانكليز مزدحمة بالناس وقد استقبلتهم أسرة النقيب عند الباب، وأخذوا إلى سطح يشرف على الجامع -وهو ضرب من شرفة واسعة، وكان مفروشاً بالسجاد ومناراً.. وكانت المصابيح معلقة في باب الجامع، ومن حوله منائره.

وكان النقيب جالساً مع وزرائه. وقد تقدم عند مقدم المعتمد السامي للقياه، بخطى غير مثبتة، وعليه سيماء الجلال والوقار.

أما سائر الضيوف- وعددهم نحو مائة- فقد جلسوا في الشرفات المطلة على حوش الطابق الأول.

وكان ثَمّ ريح حارة ملتهبة تهب على الضيوف وهو يحتسون القهوة ويتحدثون حتى أعلن تصفيق الناس مقدم فيصل.

وعندئذ نهض النقيب وسار -يعينه طبيبه الخاص- إلى رأس السلم في الوقت الذي ظهر فيه شخص فيصل بأرديته العربية البيض. وبعد أن تعانقا عادا - يداً بيد- إلى حيث كان كبار الضيوف واقفين. وقد جلس فيصل بين السر برسي والنقيب. وبعد بضع دقائق دعوا إلى الطعام فنزل فيصل والسر برسي والقائد العام والمس بيل، ثم نزل النقيب يعينه خادم من كل جانب وعلى مائدة الطعام الطويلة - الموضوعة في الشرفة - جلس فيصل في مكان الشرف قبالة النقيب وعلى جانبيه القائد العام وصاحبة الرسالة...

ويستفاد من الرسالة أن الحفلة، المقامة في جو الصيف الخانق، وفي تلك الملابسات قد أرهقت أعصاب المس بيل وهي لذلك تقول لأبيها: "ثق أني لن اشتغل بخلق الملوك بعد الآن"...

(**) وبعد أن تقول المس بيل أن ساعات العمل الرسمي في دار الاعتماد تبدأ في السابعة وتنتهي في الواحدة والنصف تمضي فتقول إنها حين ذهبت إلى الدار في ذلك اليوم- وكان يوم جمعة- وجدت فيصلاً هناك، في مقابلة له مع برسي كوكس.. وأنها قامت هي والمستر غاربيت بعد الغداء بوضع مسودة رسالة إلى مجلس الوزراء تدعوها خطيرة أو دقيقة ولا تقول ما هي، وأنها عادت إلى دارها بعيد الثالثة، ثم ذهبت في الرابعة إلى مسكن فيصل، وقد حملت خرائط تمثل توزيع جغرافية العشائر، على حد تعبيرها، وقد جاء كورنوالس أيضاً، وهناك في سرداب كبير مقبول، انفق الثلاثة مدة ساعة في دراسة الخرائط وشؤون العشائر ثم ساعة أخرى في التداول في موضوع تشكيل مجلس الوزراء الأول بعد أن يتم تنصيب فيصل ملكاً...

ثم تقول أن عزت باشا، جاءها أيضاً يطلب مقابلة برسي كوكس وقد يسرت له هذه المقابلة في الحال. وهو إنما أتى ليقول للمعتمد السامي أنه قد قابل فيصلاً، وأنه أي عزت باشا على استعداد لإحضار رؤساء العشائر الكردية في أي وقت يرتأيه المعتمد وقد

اطنب -عزت باشا- في امتداح برسي كوكس قائلاً إنه قد رأى ولاة وسلاطين وقادة ولكنه لم ير قط مثيلاً للسر برسي..

في 16 تموز 1921

كتبت تقول:

"الحرارة فظيعة. فدرجتها 121 فهرنهايت في اليوم بعد اليوم. والليالي حارة أيضاً. إننا نفكر- أنا والسر برسي أن نختم برقياتنا الصعبة إلى الوطن بهذه العبارة- حاشية: درجة الحرارة 121,8 على أن الحياة السياسية- من جهة أخرى- تسير على عجلات مدهونة بدهان مذاب خير إذابة، ويحرز السر برسي وفيصل انتصارات كبيرة، وفي يوم الاثنين المصادف 11 تموز 1921 أعلن المجلس بالإجماع بإلحاح من النقيب.. فيصلاً ملكاً (1)، وعهد إلى وزارة الداخلية في اتخاذ التدابير اللازمة وقد كنت أتعشى وحدي في تلك الليلة ولم أشعر بالقلق. أن الحرارة لا تجعل المرء فيما أظن سوياً تماماً. ولك أن تتصور ما شعرت به حين ذهبت إلى الديوان صباحاً فسمعت هذا النبأ من السر برسي لحظة وصولي.. وقد أضاف أن هذا على ما فيه من خير ـ ليس بكاف، وأن علينا أن نجري استفتاء لنثبت أن فيصلاً قد تولى العرش بمشيئة الشعب.

وعند ذاك اتصل بي أحد مرافقي فيصل تلفونياً وسألني مقابلته.. ولقد وجدته مشرق الأسارير، ومختلفاً جداً عما وجدته عليه عند زيارتي له في الصباح الباكر من اليوم التالي ليوم وصوله.. ولكنه ذهب يؤكد تأكيداً شديداً ضرورة استفتاء عن طريق جهاز وزارة الداخلية وقد أكدت له أن ذلك بالضبط هو ما كان يريده السر برسي. وقد كان مشهد غرفة الانتظار مشهداً مبهجاً فقد كانت ملأى بوجوه بغداد وبالشيوخ القادمين من كافة أنحاء العراق.

وعدت إلى السر برسي لأطلعه على نتيجة الزيارة..
إن الشيء الذي كنا نتطلع إليه يبدو في سبيله إلى أن يتحقق.. ويقوم السر برسي وفيصل الآن بتشكيل حزب شريفي مؤلف من جميع المعتدلين الثابتين.. لقد لعب فيصل دوره وقد عالج المتحمسين جداً من أنصاره بتعقل وتحوط معجبين.
وأنك لترى الديوان (2) صباحاً وقد فاض بشيوخ العشائر، وقد كانوا اليوم جالسين على الأرض تحت ظلة الفناء الواقية. أنهم يقدمون ـ إلى بغداد ـ ليروا فيصلا ويقدموا احتراماتهم إلى السر برسي ثم إلي، وليعرفوا ما إذا كان فيصل حائزا لتأييدنا وهم يسمعون بتأييدنا له أولاً مني، ثم من السر برسي، وأحسبهم ينصرفون راضين، وقد كانت العشائر القادمة من خلال هذا الأسبوع هي عشائر الفرات وفي الأسبوع القادم سيجيء دور عشائر دجلة.. وفي هذه الليلة أولم فيصل وليمة عشاء لخمسين من هؤلاء الشيوخ.

في 31 تموز 1921 (***)

كتبت إلى أبيها تصف احتفال عشائر الدليم بالمرشح للعرش، في الرمادي ومبايعة شيوخها له صباحاً ومبايعة المدنيين له عصراً.
وقد اتجهت المس بيل إلى الرمادي في الساعة الرابعة صباحاً ومعها فخري الجميل وكان المرشح قد سبقهما قليلاً. وفي النقطة في منتصف الطريق إلى الفرات أدركاه فاستأذنته المس بيل أن يتقدماه حتى يكون في وسعها تصويره عند وصوله إلى الفلوجة.
وكان هناك- خارج الفلوجة- خيمتان كبيرتان وقد تجمع فرسان العشائر وامتدت حشودهم عدة أميال في الصحراء، وكانت الفلوجة نفسها مرفوعة فيها الزينات، وقد ازدحم فيها الناس. وكان أبناء العشائر واقفين على جانبيْ الطريق الذي مر فيه ركب المرشح

للعرش من الفلوجة إلى نهر الفرات، وطول هذا الطريق نحو ستة أميال، وقد مر الركب -وكانت الكاتبة وراء فيصل مباشرة- وسط سحب لا تصدق من التراب والعجاج.

وعند حافة صحراء الشام اصطف مقاتلة عنزة من خيالة ومن راكبي الجمال، وقد حملوا لواء العشيرة الضخم فتوقف الركب لتحيته، وهناك أيضاً جاء علي السليمان رئيس عشائر الدليم، قادماً من الرمادي لاستقبال فيصل وأصحابه..

ثم انطلقوا بالسيارات حتى بلغوا ضفة الفرات. وكان علي السليمان قد ضرب خيمة ضخمة يبلغ طولها نحو مائتي قدم وفي صدرها منصة، وكان فرسان الدليم وراكبو الجمال مصطفين خارج الخيمة، وقد حمل رايتهم عبد فوق جمل أبيض ضخم. وفي داخل الخيمة اجتمع مئات من رجال العشائر وجلس المرشح في ديوان عال، وعن يمينه فهد بك.

ثم جاء الميجر يتس والمس بيل بناس يجلسون عن يساره من الموثوق بهم، وكان المرشح يرتدي الملابس العربية. وتقول المس بيل أنه كان مسروراً للغاية، وأن من أسباب سروره كونه سنياً بين عشائر سنية.. وقد تكلم في المجمع فطلب إليهم أن يعيشوا في وئام وقال إنه إذا اعتدى أحد منهم على سواه فسيقضي بينهما بعد أن يجمع مجلساً من شيوخهم. ثم أردف قائلاً:

- ذلك حق من حقوقي عليكم باعتباري الآمر فيكم.

فقاطعه شيخ متقدم في السن قائلاً:

- وحقوقنا؟

فقال: وأنتم لكم حقوقكم باعتباركم رعيتي ومن واجبي رعاية هذه الحقوق.

وبعد أن انتهى من خطابه وقف علي السليمان وفهد على جانبه وقالا:

- إننا نبايعك لأنك مقبول من الحكومة البريطانية (3).

فدهش فيصل قليلاً والتفت إلى المس بيل بسرعة مبتسماً ثم قال:
- ليس يشك أحد في ما هي عليه صلاتي بالبريطانيين، ولكن علينا أن نسوي أمورنا بأنفسنا.

ثم عاد فنظر إلى المس بيل التي شبكت عندئذ يديها رمزاً -على حد تعبيرها- "لوحدة الحكومتين العربية والبريطانية".

ثم جعل علي السليمان يأتي بشيوخ عشائره واحداً بعد واحد وهم نحو أربعين أو خمسين شيخاً فكان كل منهم يضع يده في يد المرشح ويقسم الولاء له.

وفي العصر، جرت حفلة مبايعة أهل المدن والقرى في حديقة كبيرة وقد جاء المبايعون المختلفو الأزياء من كل أنحاء اللواء من الفلوجة إلى القائم، وقد نصبت منصة كبيرة مستندة إلى جدار دار. وكان المبايعون جالسين صفوفاً تحت الأشجار فكانوا يتقدمون إلى المنصة، حيث كان المرشح والمدعوون ومنهم المس بيل فيضعون أيديهم في يده مبايعين....

تنهي الآنسة بيل رسالتها بقولها إنهم -أي الانكليز- في انتظار ورود أوراق الاستفتاء من الموصل والحلة وتقول أن المرشح قد يتوج في الأسبوع التالي، ثم تقول ما أورع هذا.. خمسة أسابيع فقط.

وكان فيصل قد وصل العراق في 23 حزيران 1921.

في 6 آب 1921.

كتبت تقول أن الاستفتاء أوشك على الانتهاء، وأن كثيراً من المناطق والمدن - كالرمادي والبصرة والعمارة والفرات- قد أضافت إلى أوراق الاستفتاء تحفظاً هو أنها تبايع فيصلاً بشرط قبوله إرشاد بريطانيا (4).

ثم تقول:

"كان يوم الثلاثاء فظيعاً بالنسبة إلي... فقد قمت من النوم في الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والأربعين وفي الساعة 5,45 ذهبت أنا وكورنوالس وفيصل إلى طاق كسرى، ثم عدت إلى الديوان حيث بقيت من الساعة العاشرة والنصف إلى الساعة الثالثة والنصف. وقد تخلل ذلك فترة الغداء ثم العودة إلى البيت للاغتسال وتغيير الملابس ثم زيارة للنقيب من الساعة الرابعة والنصف إلى الساعة السادسة ثم من الساعة السادسة إلى الساعة السابعة في لجنة المكتبة ثم زيارة لزوجة أخي ساسون من الساعة السابعة حتى السابعة والنصف ثم تناول طعام العشاء من 8 إلى 10 مع حميد خان الذي كان مدعواً عندي...

أما سفرتهم إلى طاق كسرى فتقول إن نجاحها كان عظيماً وكانت المس بيل قد دعت فيصلاً واثنين من مرافقيه والمستر غاربيت وزوجته وفخري الجميل والمستر كورنوالس.

وبعد أن تناولوا طعام افطار مؤلفاً من البيض واللسان والسردين والبطيخ أخذت تفرجه على الطاق ثم أخذته إلى نوافذه العالية التي إلى الجنوب، حيث يمكن رؤية دجلة وجعلت تقص عليه قصة الفتح العربي كما رواها الطبري..

ثم تقول إن فيصلاً قد وعدها بتسمية أحد ألوية الجيش العربي - أي العراقي- باسمها.. لواء الخاتون. ثم تضيف إلى ذلك أن نوري السعيد يقترح فيلقاً كاملاً بدلاً من اللواء - ثم تقول: "إنه لشيء عجيب يا أبتاه.. يخيل إليّ أحياناً أنني في حلم"..

في 14 آب 1921(****)

كتبت إلى أبيها تقول إن الاستفتاء قد انتهى، وأنهم- أي الانكليز- ومن يواليهم في انتظار ورود آخر أوراق الاستفتاء الموقعة من الألوية وأن فيصلاً سيعلن ملكاً بعد ذلك من غير تأخير..

وهنا تقول أنه قد انتخب بالإجماع- أي بإجماع الألوية ما عدا واحداً- أي لواء واحداً (5)-.. وبعد هذا كلام محذوف.

ونود أن نذكر في هذا الصدد استناداً إلى المجمل التاريخي الذي كتبه السر برسي كوكس لهذه الرسائل، أن لواء السليمانية قد امتنع عن الاشتراك في الاستفتاء، وأن الاستفتاء أجري في سائر الألوية الأخرى وكانت النتيجة حصول المرشح للعرش على 96 بالمائة من الأصوات، ويقول السر برسي أن الاصوات الأربعة الباقية مصدرها الرئيسي تركمان وأكراد.

ويقول بعد هذا أن وزارة الداخلية أبلغت النقيب بالنتيجة في 18 آب وأنه أي برسي كوكس أعلن في 23 آب بمحضر وفود كافة الألوية- ما عدا لوائي السليمانية وكركوك-أن الأمير فيصلا قد انتخب ملكاً بحسب الأصول، كما أعلن في الوقت نفسه اعتراف حكومة صاحب الجلالة البريطانية به ملكاً.

ثم يقول المعتمد السامي السابق أن السيد عبد الرحمن النقيب قدم استقالة وزارته حسب الأصول وأنه- أي السامي- أبلغه أن صاحب الجلالة البريطانية قد منحه رتبة فارس.. أي أنه أصبح "السيد السر عبد الرحمن النقيب".

والآن نعود إلى رسائل المس بيل. بعد أن تتحدث عن حرارة الجو خلال الأسبوع وسكون الهواء خلاله تقول إنه قد زارها شاب موصلي يعتزم إصدار جريدة في الموصل وسألها تزويده ببعض التوجيهات والإرشادات الصحفية ففعلت مسرورة ثم أرسلت نسخة من هذه الإرشادات إلى فيصل فسُرّ بها.

هوامش:

(*) نشرت الترجمة في الأهالي عدد 666 في 1961/3/1.

(**) نشرت هذه التكملة في الأهالي في 1961/3/2.

(***) نشرت ترجمة هذه الرسالة والرسالة التالي في الأهالي في 1961/3/15.

(****) نشرت الترجمة في الأهالي عدد 679 في 1961/3/16.

(1) بعد أن طالت أيام الأمير فيصل في بغداد، وهو يستقبل الوفود ويمني الزائرين بمستقبل باهر للبلاد، جمع السيد عبد الرحمن النقيب مجلس وزرائه في الحادي عشر من تموز 1921 "واتخذ قراراً بإجماع الآراء ـ بناء على اقتراح فخامة رئيس الوزراء ـ المناداة بسمو الأمير فيصل ملكاً على العراق ويشترط أن تكون حكومة سموه حكومة دستورية نيابية مقيدة بالقانون، وقرر أيضاً باتفاق الآراء إبلاغ هذا القرار إلى وزارة الداخلية لتذيع ذلك في جميع دوائر الحكومة الرسمية لإجراء اللازم. ولما كانت مقررات مجلس الوزراء لا يمكن أن تنفذ أو تعتبر نهائية ما لم تقترن بمصادقة المندوب السامي البريطاني، فقد أوقف المندوب هذا القرار وطلب إلى وزارة الداخلية أن تجري استفتاء محلياً في أنحاء العراق كافة للتأكد من رضى العراقيين بالأمير فيصل ملكاً. وبناء على أمر المندوب السامي أصدرت وزارة الداخلية أوامرها إلى متصرفي الألوية بأن يعملوا على استحصال مضابط من الأهلين ببيعة الأمير فيصل، فكان وجهاء المدن والقصبات والقرى يجتمعون في محلاتهم وبعد أن يتلو أحدهم بياناً عن سبب عقد الاجتماع يوقعون المضابط المطلوبة، وبعد أن جمعت نتائج الاستفتاء وصنفت ظهر أن الذين بايعوا الأمير فيصل وارتضوه ملكاً على العراق قد بلغوا 97% لأن لواء كركوك صوت ضد الأمير فيصل وأن لوائي أربيل والموصل اشترطا في نص البيعة ضمان حقوق الأقليات في تأسيس الإدارات التي وعدوا بها من قبل الحلفاء في معاهدة سيفر" وأن لواء السليمانية لم يشترك في التصويت أصلا- الحسني.

(2) نعني دار الاعتماد ـ المترجم.

(3) كنت قرأت مذكرات المس بيل قبل نحو أربعين عاماً وسألت في حينه الشيخ علي السليمان على صحة ما جاء في هذه الرسالة فأجابني أن هذا الكلام كان لفهد الهذال وحده ولم يكن هو ـ أي علي ـ قد تفوه بمثله وإن قالة فهد الهذال كانت مرتبة ولم تكن عفواً ـ الحسني.

(4) ثبت ثبوتاً رسمياً بأن هذه الإضافات كانت قد وضعت من قبل الانكليز الذين كانوا في الألوية والأقضية يسمون "المشاورون" ولا علاقة لحكومة بغداد بها ـ الحسني.

(5) هو لواء السليمانية ـ الحسني.

التتويج

في 21 آب 1921(*)

كتبت المس بيل إلى أبيها الرسالة التالية بعد انتهاء الاستفتاء الخاص بقبول فيصل الأول ملكاً على العراق:

"لا بريد في هذا الأسبوع.. أني لست بلا رسائل فقط بل وبلا جرائد أو كتب. على أن عندي- والحمد لله- شيئاً كثيراً أريد أن أحدثك به، وأنا في ذلك اختلف- كما ستلاحظ- عن رئيسي: فقد سمعت منذ أيام كلمة لطيفة بشأنه نقلت عن أحد أعيان البصرة، وهي "واللهي(1)، أن للسر برسي كوكس أربعين أذناً، ولساناً واحداً فقط".

وإليك حكاية أخرى عن السر والليدي برسي. إنك لتعلم أنه باحث طبيعي كبير، وهو يعمل الآن على جمع نماذج لجميع طيور بلاد ما بين النهرين.. إن بعض هذه الطيور يصل إليه ميتاً وبعضه حياً وآخر ما وصل إليه حياً منها نسر ضخم، غير مكتمل الريش لكنه مع ذلك أكبر طير وقعت عليه عيناي... إنه يقيم فوق عمود في الجانب الظليل من الدار ويقتات أكثر ما يقتات على الخفافيش. وهذه الخفافيش تصاد له بالشباك حين تطير في ظلمة الغسق عبر النهر- ثم مشكورة- من فوق حائط حديقة السر برسي. على أن يطيب له أكلها صباحاً ولذلك تحفظها له الليدي برسي -الطويل عذابها- في تنكة في صندوق الثلج. فإذا كنت سمعت قط بنسر يعيش على الخفافيش المثلجة فالمرجو إعلامي بذلك، وبما أني في معرض حكاية الحكايات لك فواجب أن أروي لك حكاية عن النقيب. أنها تتصل بما قد حدثتك في الأسبوع الماضي عن موضوع الديموقراطية"(2).

إن النقيب هو الذي أشاع هذه الكلمة ـ بإعلانه في مجلس الوزراء أن فيصلاً يجب أن يكون ملك دولة دستورية ديمقراطية وقد كانت

إشاعته لها-وهو الارستقراطي بكل جوارحه، والأوتوقراطي إن كان في هذا العالم أتوقراطي- مبعثاً لعظيم سروره والتذاذه ومنذ أيام زاره شيخ شمري من حائل فسأله:

- أنت ديمقراطي؟

فقال الشيخ وقد استاء بعض الشيء:

- لا والله. أني مو مغراطي.

فقال النقيب:

- أنا شيخ الديمقراطيين..

فقال الشيخ وقد أحسن أنه لا بد أن يكون أخطأ في جوابه:

- أعوذ بالله! إذا أنت شيخ المغراطية، آني هم منهم.. جيف آني خادمك المطيع. بس شنوهيه؟

فقال النقيب:

- الديمقراطية معناها المساواة.. يعني ماكو كبير ولا صغير، الكل سوه.

عندئذ استقر الشيخ المندهش على أرض صلبة، فقال وهو يتمثل سلطانه القبلي ينفلت من بين يديه:

- الله يشهد علي.. المغراطية إذا هيجي، بس أني مو مغراطي.

حسن، نعود الآن إلى تاريخ العراق.

كان يوم الاثنين الفائت هو اليوم الأول من عيد الفطر - عيد الأضحى - (3) وهو أكبر مناسبة في السنة عند المسلمين ومدته أربعة أيام، وفي الساعة السابعة صباحاً قمنا أنا وكونوالس بجولة زيارات.

وفي عصر ذلك اليوم، زار فيصل النقيب لأجل تأليف وزارته الأولى، وكانت تلك خطوة جد حكيمة منه. أن النقيب مقبل على حياة سياسية واعدة في سن السابعة والسبعين. شيء حسن. أليس كذلك؟

وفي مساء اليوم بلغ مني التعب من الجلوس في الدائرة، إن خرجت منها منطلقة على صهوة جوادي بالرغم من الحر، وعند

عودتي إلى البيت على شاطيء النهر مررت بدار فيصل الجديدة وهي دار أجروها له ويقومون الآن بإعدادها لسكناه. وإذ رأيت سيارته أمام الباب تركت حصاني الصغير مع أحد عبيده، وصعدت إلى سطح الدار، حيث وجدته مع مرافقه. كانت جلسة رائعة. كانت الشمس قد غربت منذ قليل، وكان من تحتنا النهر بانحناءاته المضاءة بضياء ناعم، وحزام النخيل ثم الصحراء وعقرقوف قائماً من دون حمرة الشفق المتزايلة. وقد مضينا جميعاً نأكل ونتحدث. أن فيصلاً لا يستعمل ألفاظ التشاريف، فهو يخاطبني بقوله: "إنتي" أي أنت، وما أشد هذا انعاشاً بعد عبارة "يا صاحبة السعادة"(4) تلك العبارة التي لا نهاية لتكرارها!

أنه يقول لي: "إنتي عراقية. إنتي بدوية".

لقد أرسلت إلينا وزارة المستعمرات برقية قالت فيها أن فيصلاً يجب أن يعلن في خطاب تتويجه أن السلطة الأخيرة في البلاد هي سلطة المعتمد السامي.. ولكن فيصلاً أكد أنه يجب أن يعتبر منذ البداية ملكاً مستقلاً، مرتبطاً بنا بمعاهدة، وإلا فإنه لن يستطيع ضبط المتطرفين.

أن من العسير عليهم أن يفهموا أننا لا نقوم هنا بالبناء بأحجار لا حياة فيها. إننا إنما نعمل على تشجيع البنية الحية على أن تنمو، إننا نحس بنبضها بين أيدينا. إننا نستطيع توجيهها إلى حد بعيد، ولكننا لا نستطيع الحيلولة دون نموها صعدا. وذلك في الحق هو ما دعونا إليه.

في 28 آب 1921(**)

كتبت إلى أبيها تصف حفلة التتويج، وتقول إنها هي وبرسي كوكس متفقان على أنهم ـ أي الانكليز ـ قد قطعوا الآن نصف

الطريق، والنصف الباقي هو جمع المجلس- التأسيسي- الذي تسميه الكونغرس أي المؤتمر - ووضع القانون الأساسي.

وقد جرت حفلة التتويج في الساعة السادسة من صباح يوم الثلاثاء وكانت نصبت منصة في وسط ساحة السراي وأمامها مقاعد المدعوين الذين بلغ عددهم ألفاً وخمسمائة ومن ورائها مسكن الملك المؤقت، وهو عبارة عن قاعات الاستقبال في السراي.

وفي الساعة السادسة هبط هو وبرسي كوكس - وكان الأول ببزته العسكرية والثاني ببزته الدبلوماسية البيضاء وعليه جميع أشرطته وأوسمته - والسر ايلمر، والمستر كونوالس فاتجهوا إلى المنصة التي يبلغ ارتفاعها نحو قدمين ونصف القدم، وكان طريقهم الطويل إليها مفروشاً بالسجاد، وبعد أن جلسوا نهض السيد حسين ولا تذكر المس بيل أسمه كاملاً (ملاحظة: هو السيد حسين أفغان سكرتير مجلس الوزراء) فقرأ بيان المندوب السامي (5) ومضمونه أن فيصلاً قد انتخب ملكاً من جانب 96 بالمائة من شعب وادي الرافدين.. يحيا الملك.

وعندئذ وقف الحاضرون وحيوه وفي الوقت نفسه رفع العلم الوطني على السارية التي إلى جانبه، وعزفت الفرقة الموسيقية السلام الوطني البريطاني المعروف - حفظ الله الملك - وتقول المس بيل أن النشيد أو السلام البريطاني إنما عزف لأنه لم يكن قد وضع بعد سلام وطني عراقي (6)..

ثم نقول إن وفود الألوية كانت تريد زيارة دار الاعتماد مثل يوم التتويج، ولكنها هي حالت دون ذلك لانحراف صحته ثم خصصت يومي الجمعة والسبت التاليين لليوم المذكور لهذا الغرض. وكانت أكبر الوفود وفود البصرة والعمارة والحلة والموصل، والوفد الأخير أكبرها جميعاً.

ثم تقول: "دعاني فيصل إلى تناول الشاي معه وقد قضينا ساعة سعيدة تباحثنا خلالها في شؤون أ- حدودنا الصحراوية الجنوبية

والغربية. و ب- العلم الوطني وعلم فيصل الشخصي، وقد اتفقنا فيما يتعلق بالعلم الأخير أن يكون هو العلم الحجازي مع إضافة تاج ذهبي إلى المثلث الأحمر.

وهنا تسأل صاحبة الرسالة أباها رأيه في علم الحجاز، وتقول أن من الممكن جعله علماً للعراق بإضافة نجمة ذهبية إليه، وأن الجمعية التأسيسية ستبت في موضوع العلم الوطني حالماً تلتئم.

في 11 أيلول 1921(***)

كتبت إلى أبيها تقول:

"الوزارة الأولى في عهد فيصل قد تشكلت ونحن على العموم راضون عنها فهناك -من بين 9 وزراء- ستة وزراء هم على جانب كبير من القدرة ومن اللياقة لمناصبهم..

وقد حل فيصل في داره الجديدة، الكائنة على النهر فوق بغداد. أنها صغيرة، لكن جميلة وأنيقة حقاً. وفي يوم الأربعاء اتصل بي أحد مرافقيه تلفونياً ودعاني عنده إلى العشاء.

وقد ذهبت إليه ـ باللنش ـ..

ترى أسبق أن وصفت لك النهر كيف يكون في ليلة حارة من ليالي الصيف؟ عند الغسق يخيم الضباب على النهر في هيئة شرائط بيض طويلة ثم يختفي ضوء الغسق، وتضيء أنوار المدنية على كلتا الضفتين.. ضفتي النهر المظلم، الصقيل، الزاخر بالانعكاسات الخفية، كأنه من خلل الضباب، طريق موكب القائد المحتفل به بعد عودته من الحرب ظافراً...

وفي سكون وصمت ينزلق في النهر قارب على مقدمته ضوء متلامح، وتليه جماعة من (القفف) وقد امتلأت إلى أعلاها بالرقي المجلوب من سامراء وعلى كل منها سراجها الضئيل.

وعبر النهر تتساق إليك أصوات (القفجية) -أصحاب القفف- "على كيفكم، على كيفكم، على كيفكم لتروجون الماي تره تغرك. باوعوا شلون مملية الكفف.." فنخفف اللنش لئلا يزعجهم الموج. على أن الموج الناشيء عن مرورنا لا يجيء منه حتى إطفاء شموع النذور يحمل كل واحدة منها زورقها الصغير المصنوع من كربة من كرب النخيل، ذلك الزورق الذي أطلقته على سطح الماء أيد مشوقة قلقلة ـ فإن هذه الشموع أن بلغت آخر المدينة وهي لا تزال تشتعل شفى المريض، وجاء الوليد سالماً إلى هذا العالم.. عالم الظلام الحار والأضواء المتلألئة والانعكاسات المحيرة.

وها أنذا قد بلغت بك إلى حيث تقوم النخيل صفوفاً على الشاطئين.. الماء ساكن حتى أنك لتستطيع رؤية أنجم برج العقرب على صفحته نجماً فنجماً، فلنجز القفف في ترفق ولطف وها هي ذي عتبات دار فيصل. ومع هذا فإنك لا تستطيع أن تكوّن أبعد فكرة عن مبلغ جمال المشهد وروعته..- هنا كلام محذوف- لقد مررت به أيضاً في يوم الجمعة أنا ونوري السعيد على صهوتي جوادينا في طريقنا إلى تناول طعام الإفطار مع الحاج ناجي.

وفي أثناء عودتنا خلال بساتين ضاحية الكرادة ـ التي يعرفني فيها الجميع ويحيوني عند مروري ـ قال لي نوري: ـ من أسباب بروزك هذا البروز هنا أنك امرأة. وشأنك في هذا شأن سيدي- بكسر السين- فيصل يوم كان في لندن ولا يرتدي إلا الملابس العربية فلم يكن له شبيه هناك ولذا سيظل الناس مائة سنة يتحدثون عن الخاتون وهي تمر على صهوة جوادها.

وأظن هذا محتملاً جداً، وقد يكون فاتك أننا في وسط شهر محرم فمن أول هذا الشهر حتى الخامس عشر منه (الأصح العاشر) يبكي الشيعة الحسين حفيد النبي الذي دعاه العراقيون من مكة ليكون خليفة فلما أتاهم لم يجد منهم عوناً وقد جابهه جيش معاوية- الصحيح يزيد (المترجم) ـ حيث تقوم الآن كربلاء فشاهد اتباعه يتساقطون صرعى

الظمأ والجراح ثم قتل هو أيضاً في الخامس عشر من الشهر (الصحيح في العاشر من محرم- المترجم).

وقد نجا إبن صغير له، ومنه انحدر فيصل ـ وذلك هو رأي النقيب (ملاحظة: الأسرة الشريفية حسنية وليست حسينية ـ المترجم).

ثم تشبه المس بيل مقدم فيصل إلى العراق بدعوة من العراقيين- على قولها- بمقدم الحسين، وتقول أن النتيجة إن اختلفت فبفضل دعواتها المتكررة.

ثم تصف مواكب الحداد المعروفة- بالسبايات- كما كان شأنها يومئذ. فتصف قرع الطبول والرايات المرفوعة. والجياد عليها أفخر الحلل والصدور يسيل منها الدم والسلاسل تقرع الظهور والصواني مضاءة فوق الرؤوس.

وفي 17 أيلول 1921

كتبت إلى أبيها تعرب عن سرورها لاهتمامه برسائلها. وتقول إنه ليس من الحق أن تكون هي التي حددت خطوط العراق ومصائره. ولكن الذي هو حق أنها مرتاحة قيام حكومة عربية في العراق. ثم تقول إن كونها موضع ثقة العراقيين يجعلها في مركز دقيق. فهي تحرص على ألا تقحم نفسها في شؤونهم بل تدع أمر الاستعانة يجيء منهم فإن أتوها يطلبون النصح فبها، وإلا انصرفت إلى شؤونها..

ثم تقول إن يوم الثلاثاء السابق قد صادف يوم عاشوراء ـ يوم مقتل الحسين وأنه هو اليوم الخامس عشر (الصحيح العاشر) من محرم، وأن الشيعة يمثلون في هذا اليوم قصة مصرع الحسين وأهله وقطع رؤوسهم لإرسالها إلى معاوية (الصحيح يزيد) وحرق خيامهم.

وفي 25 أيلول 1921

كتبت إلى أبيها تقول أن الأسبوع الفائت كان حاراً إذ عادت الحرارة فارتفعت حتى بلغت درجة 108 فهرنهايت على أنها هبطت في يوم كتابتها الرسالة وفي اليوم الذي قبله إلى درجة 92.

ثم تقول إنها امتطت جوادها في الساعة السادسة صباحاً -واليوم يوم أحد فهو عطلة- وانطلقت عبر الصحراء مدى ساعتين، إلى موضع تدعوه الفحّامه (موقع شمالي مدينة بغداد فيه بساتين - المترجم) وأنها تناولت طعام الإفطار مع صديق لها اسمه فايق بك في حديقة داره.

وقد شكى لها فايق بك أن الفلاحين قد أخذوا يفضلون العمل في المدينة حيث يجدون أعمالاً أحسن أجوراً وأن الواحد منهم يعد نفسه متفضلاً على صاحب الأرض أن هو رضي بعشرة أضعاف أجرته السابقة، وأن صاحب الزرع يعد نفسه محظوظاً أن جاء الفلاح بعد الفجر بساعة وخرج قبل الغروب بساعة. وتعلق الآنسة بيل على ذلك بالرثاء لفايق بك وأمثاله وتقول إنه التقدم والازدهار طبعاً، وأن الناس في هذه الحالة يتوقعون المزيد ويسعون في سبيله.

هوامش:

(*) نشرت الترجمة في الأهالي عدد 621 في 1961/1/6.

(**) نشرت الترجمة في الأهالي 1961/3/27.

(***) نشرت هذه الرسالة والرسائل التالية في الأهالي في 1961/3/27.

(1) أي "والله: كما تلفظ أحيانا في اللهجة الدارجة. أي تحويل كسرة الهاء إلى ياء. والذي تعنيه المس بيل أن السر برسي كوكس قليل الكلام، في حين أنها خلاف ذلك -المترجم.

(2) ترجمنا الحوار التالي إلى اللهجة العامية العراقية المشتركة، إذ ليس من المتوقع أن تكون جرت بالفصحى. ومن الجائز أن الشيخ الشمري- محدث

النقيب- كان يتحدث باللهجة البدوية ـ حتى لو أمكننا ذلك ـ إسراف في الدقة، ما نرى له داعية -المترجم.

(3) لفظه "الفطر" مرسومة بالأحرف اللاتينية، متبوعة بترجمة لها معناها- عيد الأضحى- والراجح عندنا أن الليدي بيل أم الآنسة بيل وناشرة رسائلها هذه، هي المسئولة عن هذه الغلطة الغريبة- المترجم.

(4) صاحب السعادة هي ترجمة العبارة الانكليزية والتي نعلمه أن المس بيل كانت تخاطب بلفظة (خاتون)- المترجم.

(5) هذا هو نص البلاغ كما ورد في ص45 من كتاب (تاريخ الوزارات العراقية) ج1 ط 1 للحسني.

"لقد قرر مجلس الوزراء باتفاق الآراء، بناء على اقتراح سمو رئيس الوزراء، المناداة بسمو الأمير فيصل ملكاً على العراق في جلسته المنعقدة في اليوم الرابع من شهر ذي القعدة من سنة 1339ه الموافق 11 تموز سنة 1921م، على أن تكون حكومة سموه حكومة دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون، وبصفتي مندوباً لجلالة ملك بريطانيا، رأيت أن أقف على رضى الشعب العراقي البات، قبل موافقتي على ذلك القرار، فأجري التصويت العام برغبة مني، وأسفرت نتيجة التصويت على أكثرية 97% من مجموع المنتخبين المتفقين على المناداة بسمو الأمير فيصل ملكاً على العراق. وعليه أعلن أن سمو الأمير فيصل، نجل جلالة الملك حسين، قد انتخب ملكاً على العراق، وأن حكومة جلالة ملك بريطانيا قد اعترفت بجلالة الملك فيصل ملكاً على العراق فليحيا الملك.

(6) ولم يكد "سكرتير مجلس الوزراء" ينتهي من تلاوة بلاغ "المندوب السامي" حتى انتصب السيد محمود النقيب، أكبر أنجال رئيس الوزراء، وألقى دعاء موجزا بمناسبة هذا الحدث التاريخي ثم أطلقت المدافع 21 طلقة. ثم نهض الملك فيصل فألقى خطاباً هذا نصه.

"أتقدم إلى الشعب العراقي الكريم بالشكر الخالص على مبايعته إياي، مبايعة حرة، دلت على محبته لي، وثقته بي، فأسأل الله عز وجل أن يوفقني لإعلاء شأن هذا الوطن العزيز، وهذه الأمة النجيبة، لتستعيد مجدها الغابر، وتنال منزلتها الرفيعة بين الأمم الناهضة الراقية.

وأنه ليجدر بي في مثل هذه الساعة التاريخية، التي برهنت فيها الأمة العربية على خالص ودها نحو أسرتنا الهاشمية، أن أذكر ما لجلالة والدي، الملك حسين الأول، من الأيادي البيضاء، فلقد رفع لواء العرب منضما إلى الحلفاء، ونهض

بالعرب لا غاية له سوى تحريرهم وتأييد استقلالهم القومي، الذي كانوا ينشدون منذ قرون، كما أني أرى من الواجب المحتم في مثل هذا اليوم، أن أذكر محبيا تلك النفوس الطاهرة الأبية، من أبناء النهضة العربية، الذين استبسلوا مع أبطال الحلفاء وذهبوا ضحية أوطانهم العزيزة، أولئك هم أصحاب الذكرى الخالدة، فسلام عليهم وألف تحية.

وهنا واجب آخر يدعوني لأن أرتل آيات الشكر للأمة البريطانية، إذ أخذت بناصر العرب في أوقات الحرب الحرجة، فجادت بأموالها، وضحت بأبنائها، في سبيل تحريرهم واستقلالهم، وأنني اعتماداً على صداقتها وموازرتها التي أظهرتها وتعهدت لنا بها، أقدمت على القيام بشؤون هذه البلاد، شاكراً للحكومة المؤقتة همتها، ولفخامة المندوب السامي محبته، وللحكومة البريطانية العظمى، اعترافها بي ملكاً للدولة العراقية المستقلة، التي دعيت لملكيتها بإرادة الشعب مباشرة.

أيها العراقيون الأعزاء كانت هذه البلاد في القرون الخالية، مهد المدنية والعمران، ومركز العلم والعرفان، فأصبحت بما نابها من الخطوب والحوادث، خالية من أسباب الراحة والسعادة، فقد فيها الأمن، وسادت الفوضى، وقل العمل وتغلبت الطبيعة، وغارت مياه الرافدين في بطون البحار، فأقفرت الأرض بعد أن كانت يانعة نضرة، وطغت القفار على المعمور، وأضحت المدن التي قويت على مقاومة النائبات أشبه شيء بواحات واسعة، فنحن الآن تجاه هذه الحقيقة المؤلمة، ولا يجدر بشعب يريد النهوض إلا أن يعترف بهذه الحقائق.

إننا لم ننهض إلا لمكافحة هذه العقبات، ولم نخض غمار الحرب إلا لإحياء هذه المعالم الدارسة، وإذا كان الناس على دين ملوكهم، فديني إنما هو تحقيق أماني هذا الشعب، وتشييد أركان دولته على المبادئ الدينية القويمة. وتأسيس حضارته على أساس العلوم الصحيحة والأخلاق الشريفة، متوكلاً على الله، ومستنداً على روحانية أنبيائه العظام، ومعتمداً عليكم أنتم أيها العراقيون.

وقد صرحت مراراً بأن ما نحتاج إليه لترقية هذه البلاد، يتوقف على معاونة أمم تمدنا بأموالها ورجالها، وبما أن الأمة البريطانية أقرب الأمم لنا، وأكثرها غيرة على مصالحنا، فإننا سنستمد منها ونستعين بها وحدها على الوصول إلى غايتنا المنشودة في أسرع وقت.

ولا يغرب عن الأذهان أنه: إذا كان الناس على دين ملوكهم فالملوك على دين شعوبهم، فعلى قدر التضامن يكون النهوض.

ونحن الآن أحوج الأمم إلى التضامن، والتعاضد، والعمل بجد ونشاط، ضمن دائرة السلم والنظام، وأني لا آلوا جهداً بأن استعين برجال الأمة على اختلاف مواهبهم، وتباين طبائعهم، وتفاوت معتقداتهم. فالكل عندي سواء لا فرق بين حاضرهم وباديهم، ولا ميزة لأحد عندي إلا بالعلم والمقدرة، والأمة بمجموعها هي حزبي، لا حزب لي سواها، ومصلحة البلاد العامة هي مصلحتي، لا مصلحة لي غيرها.

إلا وأن أول عمل أقوم به هو مباشرة الانتخابات وجمع المجلس التأسيسي - ولتعلم الأمة أن مجلسها هو الذي سيضع بمشورتي دستور استقلالها على قواعد الحكومات السياسية الديمقراطية، ويعين أسس حياتها السياسية والاجتماعية، ويصادق نهائياً على المعاهدة التي سأودعها له فيما يتعلق بالصلات بين حكومتنا والحكومة البريطانية العظمى، ويقرر حرية الأديان والعبادات شرط ألا تخل بالأمن العام والأخلاق العمومية، ويسن قوانين عدلية تضمن منافع الأجانب ومصالحها، وتمنع كل تعرض بالدين و الجنس واللغة، وتكفل التساوي في المعاملات التجارية مع كافة البلاد الأجنبية وإني لواثق تمام الوثوق بأن الاستشارة مع فخامة المندوب السامي السر برسي كوكس الذي برهن على صداقة للعرب خلدت له الذكر الجميل سنصل إلى غايتنا هذه بأسرع وقت إن شاء الله.

فإلى الاتحاد والتعاضد، إلى الروية والتبصر، إلى العلم والعمل، أدعو أمتي والله الموفق والمعين- ص46 (تاريخ الوزارات العراقية) ج1 ط3 - الحسني.

سير حياة

المترجم – عبد الكريم الناصري

1337-1386 هـ/1918-1966م

عبد الكريم بن العلامة عبد العزيز الناصري، باحث، كاتب، أديب، مترجم، ولد في البصرة – العراق وفيها أكمل الابتدائية والثانوية، وكان من المتفوقين، فأرسلته وزارة المعارف في بعثة الى الجامعة الأمريكية ببيروت ليدرس الفيزياء وفي بيروت تعرف على الدكتور شارل مالك استاذ الفلسفة في تلك الجامعة، فاستهوته الدراسات اللغوية والفلسفية وعزف عن دراسة الفيزياء، فعاد الى بغداد دون ان يكمل الدرجة العلمية، وعين مترجما في المصرف الصناعي، وبدأ يراسل الصحف والمجلات العربية والعراقية، ونشر دراساته اللغوية وكانت له ردود كثيرة على الاب (ماري الكرملي) و(الاب مرمرجي) وتعقيبات على الشيخ عبد الله العلايلي و (د.مصطفى جواد). وكان متفوقا في الترجمة من الانكليزية الى العربية وبالعكس الى جانب دراسته للغات قديمة وحديثة اخرى، إضافة الى اهتماماته الأدبية، إذ نشر في مجلة الرسالة القاهرية من عام 1939 وترجم طائفة من رسائل (مس بيل) ونشرها في عدد من الصحف العراقية، عمل بعد ذلك مترجما في جريدة (الحرية) لصاحبها قاسم حمودي. آثاره لم تجمع بعد، فهي موزعة في كثير من الصحف والمجلات لاسيما جريدة الاهالي وجريدة الجمهورية، ماعدا كتاب (خلق الملوك) وهو تجميع – قامت به ابنته بثينة الناصري بعد وفاته - لترجمته لرسائل المس جرترود بيل السكرتيرة الشرقية للمعتمد البريطاني في بغداد في اوائل القرن العشرين، وقد صدر عن مكتبة النهضة في بغداد 1973.

مصادر سيرته: أعلام العراق في القرن العشرين 158/3 (مع اضافات حديثة)

المؤرخ عبد الرزاق الحسني

(1903 – 1997)

ولد عبد الرزاق الحسني في بغداد عام 1903 م من اسرة أدبية، وتوفي في نيسان 1997. تعلم القراءة والكتابة في جامع الخفافين في بغداد. وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى عام 1914 تعثرت الدراسة في معظم المدارس الحكومية والاهلية بسبب التحاق اسأتذتها في الجيش. تعلم اللغة التركية، والفرنسي والانجليزية. انتقل إلى النجفُ عام 1920 م أثناء ثورة العشرين.

تولع بالكتابة والنشر منذ أن كان طالبأ في(دار المعلمين العالية) ,كان يقرأ الصحف والمجلات المحلية والعربية. أصدر جريدة(الفيحاء) في الحلة, وبعد فترة سحب منه امتيازها وصودرت المطبعة، ولعلاقته مع(جعفر العسكري) أعيدت المطبعة. ثم عمل في وظيفة حكومية، وفي عام 1941 م حدث اصطدام بين الجيش العراقي والبريطاني في (حركة رشيد عالي الكيلاني) ,وفصل لمدة(5) سنوات من الخدمة. سجن في معتقل الفاو والعمارة لمدة(4)سنوات فكتب خلالها (تاريخ العراق السياسي) بثلاثة أجزاء.

نال جائزة المجمع العلمي العراقي لأحسن كتاب عام 1949 م. عمل في مجلس الوزراءالعراقي مع السادة نوري السعيد، علي جودت الايوبي, توفيق السويدي، مصطفى العمري، نورالدين محمود، جميل المدفعي، أرشد العمري، عبد الوهاب مرجان، احمد مختار بابان، عبد الكريم قاسم، احمد حسن البكر، وعاملوه معامله حسنة, ويعد تلك الفترة من أجمل ايام حياته.

كتب مذكرات (طه الهاشمي، علي جودت الايوبي. تحسين العسكري, إبراهيم الراوي). نشر مقالاته في الصحف والمجلات. سافر إلى العديد من دول العالم.

مؤلفاته:

العراق قديماً وحديثاً

العراق دوري الاحتلال والانتداب

الثورة العربية الكبرى
تاريخ الوزارات العراقية
تاريخ الصحافة العراقية
الاسرار الخفية في حركة سنة1941 التحررية
الصابئون – اليزيديون - البهائيون

كتاب (يوميات الجنود الأمريكان في بلاد الرافدين) (جمع وترجمة بثينة الناصري) 2008 عن مركز الحضارة العربية – القاهرة

رواية "عذارى من حجر" للروائية ايفون فيرا – من زمبابوي – 2011 المركز القومي للترجمة –القاهرة

كتاب (الإعلام الأمريكي بعد العراق: حرب القوة الناعمة) – للمؤلفين ناثان غيردلز- ومايك ميدافوي- عن المركز القومي للترجمة – 2015 القاهرة

•خلال 2016 تنشر تباعا الكترونيا ملفات حول المشروع الأمريكي في العراق.

تحت الطبع:

الحكاية الشعبية: دراسة وتحليل